وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : التاريخ

التخصص : ماستر حديث

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شـهـــادة مـــــاستر أكـــاديمي

في تاريخ الجزائر الحديث

بعنوان:

العلاقات العسكرية الجزائرية العثمانية

(1519م-1830م)

إعداد الطلبة:

- مهدي حمزة

- لسلت عيسى

إشراف:

د/ حروز عبد الغني

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نحمدك ربي ونشكرك على عظيم نعمك وجلال قدرتك.

الحمد لله الذي أعاننا وساعدنا بعفوه وسلطانه وسخر لنا الأسباب ووفقنا في انجاز هذا العمل، كما نتقدم بأخلص كلمات الامتنان والعرفان وأصدق معاني التقدير والاحترام إلى أستاذنا الذي أشرف على انجازنا لهذا العمل الدكتور " حروز عبد الغني" الذي نحيي فيها روح التواضع والمعاملة الجيدة وإرشاداته القيمة.

كما نتقدم بجزيل الشكر لكل من الطاقم الإداري للجامعة

والشكر موصول إلى لكل من ساهم في مساعدتنا من قريب أو بعيد في إتمام هذا العمل.

شهدت منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال الفترة ما بين القرنين السادس عشر و التاسع عشر للميلاد أحداثا مختلفة وصراعات سياسية وعسكرية ودينية تزعمتها الدولة العثمانية الحاملة للراية الإسلامية من جهة والمسيحية الإسبانية من جهة أخرى، هذه الأخيرة التي سارعت إلى تنصير واستعمار المناطق الإسلامية، مستغلة بذلك الظروف الصعبة التي كانت تعيشها هاته المناطق، راغبة في ذلك استرداد الأندلس المفقود وتوحيد أوربا بالمسيحية والقضاء على الخطر الإسلامي أينما وجد.

وبعد تمكن الإسبان من القضاء على مملكة غرناطة التي هي آخر معقل للمسلمين في الأندلس عام 1492 م تفرغوا لمنطقة المغرب الإسلامي الذي كان يعيش حالة من التفكك والتجزؤ خاصة بعد سقوط دولة الموحدين، حيث انقسمت إلى ثلاث إمارات" المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى"،وبما أن هذه المناطق كانت متناحرة فيما بينها جعلها عرضة للحملات الصليبية، وخاصة المغرب الأوسط فلقد كان لضعف دولة بني زيان تأثير سياسي على الوضع العام في المنطقة حيث تجزأت هذه الدولة إلى إمارات صغيرة متصارعة ومتناحرة فيما بينها، ما أدى إلى تعرضها للغزو الإسباني بكل يسر حيث احتلت أغلب سواحلها، وهذا ما اضطر أعيان مدينة الجزائر إلى الاستنجاد بالإخوة بربروسا الذين ضاع صيتهم خلال القرن الخامس عشر في حوض البحر الأبيض المتوسط.

ومنذ ظهور الإخوة بربروسا في المغرب الأوسط أصبحت هذه المنطقة حلبة صراع بين العثمانيين والاسبانيين إلى أن انضمت الجزائر رسميا إلى الدول العثمانية، ولقد تطورت العلاقات بين الطرفين وتوطدت خاصة في المجال العسكري الذي هو محور بحثنا هذا ضمن موضوع" العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية 1519 م –1830 م التي نحن بصدد دراسته من عهد البايلربايات 1518–1587م والباشاوات من 1587 م 1659 م مرورا بالآغاوات 1659 م – 1671 م وصولا إلى عهد الدايات 1671–1830م.

1/ أهمية الموضوع:

إن دراسة موضوع العلاقات الدولية أيا كان صنفه في التاريخ فسوف يتمحور حول الاستمرارية والتغير والانفصال ما بين الطرفين وهذا ما حاولنا إبرازه في البحث لما لهذه الفترة من أهمية بالغة في تاريخ

الجزائر العام، وخاصة أنها لم تحظى بدراسات معمقة سابقة وكان اهتمام جل الباحثين بالفترة الأخيرة من هذا العهد (الدايات).

وتكمن أهمية هذا الموضوع على انه مثل مرحلة انتقالية هامة في تاريخ الجزائر بنقلها من عصر إلى عصر تميزت هذه الفترة بكثرة الأحداث والتغيرات، خاصة بعد دخول عناصر داخلية وخارجية فعالة أثرت على العلاقات ما بين الجزائر والباب العالي سواء سياسيا أو حتى عسكريا، سيرت وغيرت من مجرى التاريخ الحديث الخاص بتاريخ الجزائر، ولهذا فإن أهمية دراسة هذا الموضوع" العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية 1519 م –1830 م"تكمن في محاولة الكشف وإزالة الغموض والإبهام عن هذه الفترة من خلال ذكر أهم التطورات السياسية والعسكرية.

2/ الإطار المكاني والزماني:

فيما يخص الإطار المكاني فهو مرتبط بكل من المغرب الأوسط" الجزائر"و القسطنطينية" مركز الخلافة العثمانية" و البحر الأبيض المتوسط الذي كان مسرحا للأحداث.

أما الإطار الزماني فينحصر من 1519 م السنة التي أرسل فيها خير الدين وفدا إلى اسطنبول بعد وفاة أخيه عروج بقيادة ابن القاضي يطلب الدعم والمساعدة للوقوف أمام الإسبان، وفي نفس السنة أرسل السلطان سليم قوة من الإنكشارية إلى الجزائر" أي بداية العلاقات العسكرية مع الباب العالي "،أما سنة 1830 م فهي السنة التي انتهى فيها الحكم العثماني في الجزائر، وبداية الاحتلال الفرنسي أي من بداية سنة 1518 م و إلى غاية 1830 م.

3/ أسباب إختيار الموضوع:

وأسباب إختيارنا لهذا الموضوع راجع إلى عدة اعتبارات:

دوافع شخصية للبحث عن هذا الموضوع لمعرفة وفهم طبيعة العلاقات ما بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية ، في فترة شهد فيها الحوض الغربي للبحر المتوسط تطورات عديدة حيث يمكن إعتبار هذه المرحلة مرحلة انتقالية من الوسيط إلى الحديث بالنسبة لتاريخ الجزائر السياسي.

الرغبة الذاتية في الإسهام في كتابة تاريخ الجزائر العثماني المزدهر الذي طالما نظرنا إليه نظرة فخر و إعتزاز.

قلة الدراسات الخاصة لهذا الموضوع وقلة الأقلام الجادة التي تناولت هذا الجانب الغامض من العلاقات الجزائرية العثمانية من 1518م إلى 1830م، وخاصة أن هذا الدخول جعل منها أكثر تأثيرا وتأثرا في منطقة البحر المتوسط، وكان الإهتمام منصب فقط على آخر عهد وهو الدايات.

رغبتنا أيضا في تقصي الحقائق التاريخية التي لطالما تعرضت للتزييف والتشويه خاصة موضوع العلاقات الجزائرية العثمانية منذ بدايتها وإلى غاية نهاية الوجود العثماني بالجزائر جراء الاحتلال الفرنسي، من خلال تصحيح بعض المفاهيم والمغالطات التاريخية التي وصفها المؤرخين الغربيين وحتى العرب وحاولوا تقديمها على غير صورها الحقيقية.

4/ إشكالية البحث:

ومن هنا كان الوقوف على الإشكالية الرئيسية وهي:

كيف كانت العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية من 1519م وإلى غاية 1830م، في ظل الظروف التي طرأت على كلا الطرفين خلال هذه الفترة ؟

أما الإشكاليات الجزئية فنطرحها على شكل تساؤلات وهي:

كيف كانت الأوضاع العامة للمغرب الأوسط قبيل الوجود العثماني، وهل كانت هذه الأوضاع سببا للإسبان في احتلال المدن الساحلية ؟ وما هي الظروف التي كانت وراء ظهور العثمانيين في سواحل المتوسط، وكيف تم إلحاق الجزائر بالباب العالي ؟

بماذا تميزت العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والباب العالي في كل عهد، وكيف كانت بوادر الاتصال والانفصال بينهما؟ وهل كانت علاقة تبعية وولاء أم علاقة شرفية فقط؟ وهل أثرت أطرافا أخرى سواء داخلية أو خارجية على هذه العلاقة ؟

كيف كانت العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية؟ وماهي العوامل المتحكمة فيه ؟ وما هي أسس التنظيم العسكري العثماني في الجزائر؟ مبرزين دور البحرية الجزائرية في مساعدة دول المغرب الإسلامي على التحرر هذا من جهة و الدور الذي لعبه رياس البحر في إنقاذ مسلمي الأندلس من جهة أخرى، وكيف كانت مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية؟ وكيف كان الانفصال في عهد الدايات؟ وما تأثير علاقة الجزائر بالدولة العثمانية على علاقاتها الخارجية ؟ وماهي الظروف التي سمحت للاحتلال الفرنسي باحتلال الجزائر؟

5/ المنهج المتبع:

ولمعالجة هذه الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، لما يتناسب مع طبيعة الموضوع، فالوصفي لأنه ينصب على وصف الأحداث التاريخية المختلفة من حيث الزمان والمكان، مبرزين من خلالها طبيعة العلاقة التي كانت بين كل حاكم و السلطان العثماني، أما المنهج التحليلي فمن خلال استقراء الأحداث واستنباط النتائج.

6/ نقد المصادر والمراجع:

المخطوطات:

حاولنا ايجاد بعض المخطوطات التي تحاكي موضوعنا لكنها كانت قليلة أو بالأحرى البعض منها مفقود في المكتبة الوطنية وان وجدت فهي محققة ولا يمكننا تعدادها ضمن المخطوطات وكان من بين المخطوطات المستعلمة الخبر عن قدوم عروج وخير الدين والذي أفادنا فيما يخص الحياة الشخصية والسياسية للإخوة عروج.

ومخطوط أخر وهو رسالة مسلمي الأندلس إلى السلطان بيازيد الأول المراد فيها تبيين معاناة سكان الأندلس من طرف الإسبان، ومطالبين فيها إنقاذهم من هذا الظلم والعنف.

الأرشيف الوطني الجزائري: دفتر الديوان الهمايوني

و لقد استعملنا بعض الأرشيفات التي هي عبارة عن مراسلات كانت بين الباب العالي و حكام الإيالة الجزائرية ، وحاولنا استعمال بعض من الخط الهمايوني وسعينا لإيجاده في الأرشيف الوطني بالعاصمة لكنه مفقود.

ومن بين **المصادر** التي ساعدنا في انجاز هذه الأطروحة مخطوط الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليهم جنود الكفرة لمؤلفه ابن رقية التلمساني الذي يعتبر من العارفين للعلوم الفقهية واللغوية، ولقد توفي سنة 1149 هـ 1780 /م ، وأفادنا من خلال حديثه عن مسيرة الإخوة بربروسا بالتسلسل الزمني ،ضف إلى ذلك الأسباب التي جعلت الجزائر تنضوي تحت اللواء العثماني.

وأيضا كتاب وصف أفريقيا لحسن الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي ولد عام 1488 م بغرناطة ، هاجر مع عائلته إلى فاس وهو صغير تعلم واشتغل فيها، ترك عدة مصنفات ومنها كتاب وصف

إفريقيا الذي استعملناه كثيرا وخاصة في الفصل الأول من خلال الأوصاف التي وضعها الوزان لعدة مدن جزائرية التي حل بها وتوفي 1537م.

وكتاب مذكرات خير الدين بربروسا الذي أفادنا كثيرا في المبحث الأول من الفصل الثاني أي بما يتعلق بارتباط الجزائر بالباب العالي وكيف كانت عملية الإرتباط، ضف إلى ذلك فهو يعتبر من أهم المصادر المتعلقة بهذا الموضوع من جهة ومن جهة أخرى يشمل كل ما يخص خير الدين كشخصية سياسية وعسكرية.

كما استعنا بكتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة الذي يعتبر من المصادر المحلية المهمة ولقد أفادنا في المبحث الأول من الفصل الثالث، أي ما يخص التنظيم العسكري وخاصة الجيش الانكشاري والديوان وعملية التجنيد وغيرها.

وكتاب الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا لعزيز سامح ألتر والذي أفادنا بكثرة في كامل البحث لاحتوائه على العديد من المعلومات المفصلة التي يمكن القول أنه من الصعب إيجادها في كتب أخرى، ضف إلى ذلك أن إيالة الجزائر قد أخذت النصيب الوافر من الكتاب، ولقد أعطيناه أهمية بالغة في هذا البحث لإعطائه لنا صورة كاملة وواضحة عن الأحداث والوقائع التي جرت في الجزائر العثمانية، ولقد استعنا به فيما يخص أوضاع الجزائر قبل الوجود العثماني ، وأيضا مراحل الإحتلال الإسباني على السواحل الجزائرية كوهران والمرسى الكبير وغيرهم ، كما تكلم عن العلاقات ما بين الجزائر والباب العالي خلال الحكم العثماني، وما يعاب على هذا الكتاب أنه أعطى أهمية بالغة للدور الذي قدمه الإخوة بربروسا في كل الإيالات وخاصة الجزائر ، إلا أنه يعتبر من الكتب الهامة التي تحدثت عن الجزائر خلال العصر الحديث.

كتاب الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر(1514م- 1544م) لكورين شوفالييه هذا الكتاب الذي أعطى لنا رؤية معرفية و قراءة علمية عن التاريخ العثماني في الجزائر، ولقد أفادنا من خلال حديثه عن انجازات خير الدين في الإيالة وعن اللقب الذي أخذه.

كتاب لوليام سبنسر المسمى ب الجزائر في عهد رياس البحر الذي استعنا به فيما يخص علاقة إيالة الجزائر بالباب العالي والذي حاول الفصل فيها في كل العهود المراد الحديث عنها، كما أنه يتحدث

عن فرمان التولية الذي بعث إلى إيالة الجزائر بخصوص انضمامها إلى الدولة العثمانية، وحقيقة فإن هذا الكتاب غني بالمعلومات التاريخية.

وكتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء الثالث لمحمد بن مبارك الميلي الذي أفادنا كثيرا في الفصل الأول من خلال حديثه عن الأوضاع السياسية في الجزائر قبل الوجود العثماني الذي ظهرت فيه عدة إمارات والاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية، كما يتطرق الكتاب إلى مراحل استرداد الإخوة بربروسا للمناطق الجزائرية كوهران والمرسى الكبير وبجاية، ضف إلى ذلك فهو يتحدث عن مراحل تأسيس الإيالة الجزائرية، وأعطى في نفس الوقت عدة تلميحات حول العلاقات ما بين الإيالة والباب العالي.

وكتب أخرى ليحي بوعزيز منها الموجز في تاريخ الجزائر الجزء الثاني الذي استعنا به خاصة في مواضيع الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية في الفصل الأول، كما يقدم لنا الكاتب صورة حول العلاقات الجزائرية العثمانية من جهة والعلاقات الجزائرية الفرنسية من جهة أخرى، كما يشير الكتاب إلى الظروف التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك والتي نستطيع بها إعطاء صورة حول طبيعة العلاقات الجزائرية العثمانية.

وكتب أخرى منها" دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني " لناصر الدين سعيدوني الذي أخذنا منه معلومات تخص البحرية الجزائرية وحاولنا الاستفادة منه في العنصر الخاص بمقومات البحرية الجزائرية كالغنائم والأسرى وغيرها.

و كتاب لحنيفي هلايلي" بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني" الذي أفادنا بكثير وهذا لاحتوائه على أصغر التفاصيل التي تخص هذا الجيش سواء النظامي أو غير النظامي وكل ما يتضمنه هذا الموضوع من عملية التجنيد الى تنظيمه وتركيبته والأجرة والسلاح وغيره ولقد كانت استفادتنا من هذا الكتاب قيمة.

كتاب أخرى منها كتاب لصالح عباد بعنوان "الجزائر خلال الحكم التركي" الذي أخذنا منه بعض المعلومات التي تخص الأوضاع الجزائر قبل وجود العثمانيين يمكن القول أننا لم نجدها في كتب أخرى ،ضف إلى ذلك فإن هذا الكتاب يتطرق إلى عدة مواضيع خاصة بالجزائر منذ الاحتلال الإسباني إلى ظهور العثمانيين ودور الإخوة بربروس في تحرير تلك المدن، ضف إلى ذلك فلقد

اعتمدنا عليه في رسم صورة حول طبيعة العلاقة التي ربطت الجزائر بالباب العالي من خلال ذكره لعلاقة أمراء الجزائر بالخليفة العثمانية وحاولنا قدر الإمكان تبيان نوعية تلك العلاقة، أكانت مستقرة أو مضطربة.

واستخدمنا بعض المصادر الأوربية منها كتاب لهايدو وهو البحث في تاريخ الجزائر العثماني دون الرجوع إليه ولقد أفادنا فيما يخص حملة شارلكان وغيرها.

كما لم يخلو بحثنا هذا من بعض المصادر المراجع باللغة الأجنبية ومنها " De Grammont " وكتابه " Histoire d'Alger sous la domination turque " و كتاب آخر له والذي خلال عنوان الكتاب" تاريخ الجزائر تحت الاحتلال التركي" نكتشف نظرة الكاتب حول هذه الفترة، وهو كتاب قيم يتحدث عن الإسبان وعلاقتهم بشمال إفريقيا، ولقد استفدنا منه في الفصل الثاني فيما يخص حملة أندري دوريا على الجزائر، ضف إلى ذلك عرضه لمشاركة البحارة الجزائريين في الحروب العثمانية منها حصار مالطة وليبانت.

وكتاب لفونتير دي برادي بعنوان " Alger au 18 siècle" والذي يعتبر من المصادر الهامة في التاريخ، وهو من مواليد8 ماي 1739م بمرسيليا بفرنسا والذي عينه بونابارت كبيرا لمترجمي الحملة الفرنسية، وكتاب لدبيغو دي هايدو بعنوان " Histoire Des Rois D'Alger " الذي وقع أسيرا في الجزائر حيث كان شاهدا على أغلب الحوادث التي جرت مع نهاية العهد العثماني في الجزائر .ولقد استفدنا منه في الفصل الثالث فيما يخص الجيش الانكشاري من رتب وثكنات وغيرها.

وكتاب لمولاي بلحميسي بعنوان " Histoire de la" marine والذي استفدنا منه في عرض انجازات خير الدين وإعطاء مفهوم للقرصنة على أنها جهاد بحري على عكس ما تكتبه المصادر والمراجع الأوربية ، كما استفدنا منه في الفصل الثالث حيث يعرض لنا دعم ومشاركة الرياس في الحروب العثمانية.

ولقد استفدنا من بعض المقالات الفرنسية الموجودة في المجلة الإفريقية والتي لا يمكن التغاضي عنها باعتبارها تحتوي على أهم المقالات التي تخص الجزائر العثمانية منها مقال لجون ديني "Les Registres de Solde de Janissaires" الذي يتحدث في مقاله عن الثكنات الموجودة بالإيالة الجزائرية كما يشير إلى عدد المقيمين في هذه الثكنات الخاصة بمقر الانكشاريين وغيرها.

و لقد استعملنا بعض المقالات العربية منها مقال لمولاي بلحميسي بعنوان "الجزائر في العهد التركي " المنشور في مجلة الأصالة والذي أفادنا في موضوعنا وحاول تبسيط وتسيير لنا طريقة البحث وخاصة لتطرقه إلى طبيعة العلاقة التي كانت تربط الإيالة الجزائرية والباب العالي وكيف كانت تتغير وتتطور في نفس الوقت.

و لقد استعملنا بعض مذكرات التخرج التي تطرقت ولو نسبيا إلى البحث ، وحاولت تبسيط الطريق لنا في وضع هيكلة للموضوع منها مذكرة العلاقات السياسية والعسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية (1518-1671م) لسحابات زهيرة وهي مذكرة ماجستير والتي تشير فيها إلى أوضاع الجزائر السياسية قبل الوجود العثماني، كما أعطى مميزات كل من عهد البايلربايات والباشاوات مبرزة علاقة حكام الجزائر بالباب العالي وحاولنا من خلالها تبيان طبيعة العلاقة فيما بينهما.

ومذكرة الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني على ضوء دفتر التشريفات لدلباز محمد وهي رسالة دكتوراه والتي تتناول جانبا مهما في مختلف مراحل الحكم العثماني للجزائر والتي حاولنا من خلالها الإحاطة والإلمام بمختلف الأحداث والتطورات في كل فترة من فترات الحكم العثماني للجزائر.

ومذكرة العلاقات السياسية والعسكرية بين الجزائر والدولة العثمانية (1791-1830م) لعروك رنجة وهي مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر والتي تتناول العلاقات في فترة الآغوات والدايات مبرزة علاقة حكام الجزائر بالباب العالي في تعيين الحكام وكذا الانفراد بالحكم في مرحلة الدايات

7/ الخطة المتبعة:

افتتحنا البحث بمقدمة للموضوع وضعنا فيها كل ما تتطلبه شروطها مع وضع الإشكاليات التي سوف تسير البحث، ولقد قسمنا هذا البحث إلى ثلاثة فصول ، وكل فصل إلى عدة مباحث، والمبحث إلى عناصر، فكانت الفصول على الشكل التالي:

الفصل التمهيدي المعنون بـ "**التقارب الجزائري العثماني** "حيث قسمناه إلى ثلاثة مباحث ،و هو بمثابة استعراض تاريخي للظروف العامة آنذاك، فالمبحث الأول المعنون بـ: **بداية العلاقات الجزائرية مع الباب العالي** تطرقنا فيه إلى الأوضاع السياسية المتردية وظهور إمارات متناحرة والتحرشات الإسبانية

مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد، وظهور الإخوة بربروس على مسرح الأحداث بعد إخضاع واحتلال الإسبان لكل من المرسى الكبير ووهران و بجاية.

أما المبحث الثالث :**تبعية الجزائر للدولة العثمانية**، تعرضنا فيه إلى مراحل إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية والمجهودات التي بذلت من أجل تحرير السواحل الجزائرية من الاحتلال الاسباني .

ويدور الفصل الثاني المعنون بـ "**العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية في عهد البايلربايات والباشوات** والذي قسمناه إلى أربعة مباحث:المبحث الأول : "**مقومات الجيش البري والبحري للإيالة الجزائرية**" حاولنا فيه تسليط الضوء على الحلقة الأهم وهي القوات الإنكشارية ورياس البحر التين تحكمتا في مسار الأحداث والعلاقات بالباب العالي والقوى الأجنبية أما المبحث الثاني: المعنون بـ" **دور البحرية الجزائرية في تحرير تونس وطرابلس**" حاولنا فيه تسليط الضوء على طبيعة العلاقة مع دولتين شقيقتين ستصبحان إيالتين تابعتين للدولة العثمانية ودور إيالة الجزائر في تحريرهما ومساهمتها في إلحاقهما بسلطة الباب العالي.

أما المبحث الثالث :" **دور البحرية الجزائرية في نجدة المورسكيين**" حيث تحدثنا فيه عن معانات الأندلسيين جراء محاكم التفتيش ومحاولة تنصيرهم وكيف هبت إيالة الجزائر لنصرتهم ونقلهم إلى سواحل المغرب العربي وكذا الإغارة على الإسبان لتخليصهم.

و المبحث الرابع : المعنون بـ : **دور البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية**. والدور الكبير الذي لعبته البحرية الجزائرية في استرداد واسترجاع الكرامة العثمانية في الحوض المتوسط الفصل الثاني المعنون بـ "**العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية في عهد الآغوات والدايات**"، ولقد قسمناه إلى أربعة مباحث: ففي المبحث الأول المعنون بـ : **ظهور بوادر الانفصال على الباب العالي في عهد الآغوات** تحدثنا فيه عن محاولة بارزة للانفصال عن الدولة العثمانية من جهة وإضعاف مركز طائفة الرياس التي كانت كلمتها هي العليا في عهد معظم الباشوات وفي المبحث الثاني : **نظام الدايات في العهد العثماني** ، تطرقنا فيه إلى أسباب إلغاء نظام الآغوات الانتقال السلطة إلى الدايات وانفصالهم عن مركز الحكم بالباب العالي.

أما المبحث الثالث: "**بعض نماذج التعاون العسكري الجزائري العثماني** " هذا المبحث خصصناه للحديث عن مشاركات البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية حتى بعد انفصالها عن الباب العالي في فترة الدايات.

وختمناه بخاتمة جاءت على شكل استنتاج للأطروحة ككل، وألحقناها ببعض الملاحق ستكون دعما وتبيانا للموضوع.

ومن الطبيعي أن يواجه الباحث عدة صعوبات عند إعداده للبحث، خاصة إن كان صاحبه يريد الخروج بنتيجة مرضية، رغم أن موضوع الدراسة شامل حيث يتضمن دراسة أكثر من ثلاث قرون، وهذا بحد ذاته ليس بالأمر الهين.

الفصل التمهيدي : التقارب الجزائري العثماني.

- المبحث الأول : بداية العلاقات الجزائرية مع الباب العالي.
- المبحث الثاني : تبعية الجزائر للدولة العثمانية.
- المبحث الثالث : مظاهر ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية.

المبحث الأول : بداية العلاقات الجزائرية مع الباب العالي .

يعتبر القرن السادس عشر بالنسبة لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي وبالأخص تاريخ الجزائر, قرنا محوريا إذ شهد تحولات كبيرة جدا على جميع المستويات وعرف بقرن المجابهات الحربية بين مختلف الأطراف فهو لاشك قرن التحولات في الأنظمة السياسية والاتصالات والبعثات التي حصلت عبر البحر المتوسط[1].

ففي أواخر القرن الخامس عشر كان الشمال الإفريقي كله مرتعا للفتن, و موطنا للاضطرابات وقد شهد فراغا سياسيا كبيرا بعد سقوط دولة الموحدين, حيث انقسم المغرب العربي إلى ثلاث دويلات إقليمية, الحفصيون في المغرب الأدنى والمرينيون في المغرب الأقصى والزيانيون في المغرب الأوسط[2].

هذا ما شجع القوى الصليبية وعلى رأسها البرتغال واسبانيا على استهداف أقطار المغرب العربي وقد اتفقتا على اقتسامه على أن يكون المغرب الأقصى من نصيب البرتغال وأن يكون المغرب الأوسط والأدنى من نصيب إسبانيا[3]

وبعد الغزو الإسباني لسواحل الجزائر تم احتلال المرسى الكبير عام 1505م وبجاية وطرابلس عام 1510م ومدينة الجزائر عام 1511م[4] لم يستطع سكان مدينة الجزائر الدفاع عن أنفسهم هذا ما عجل باتصال الجزائريين بالعثمانيين ومن هنا بدأت بوادر العلاقة بين

1- حنيفي هلايلي , أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني , دار الهدى الجزائر , 2008 , ص 122 .

2- أحمد توفيق المدني , مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب إشراف الجزائر ويليه محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766 – 1791م) , دار البصائر , الجزائر , 2009 , ص 37 .

3- عبد الجليل التميمي , رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني , المجلة التاريخية المغاربية , ع 3 , تونس , 1975 , ص 37 .

4- جون ب وولف , الجزائر وأوروبا 1500 – 1830 ت.ر أبو القاسم سعد الله , دار الرائد , الجزائر 2009 , ص ص 22-23 .

الجزائر والدولة العثمانية الحاملة للواء الجهاد الإسلامي والدفاع عن المسلمين[1], في هذا الوقت كان البحر المتوسط مسرحا لانتصارات مدوية أحرزها الإخوة عروج وخير الدين حيث كانوا يتميزون بالشجاعة ومعرفة علوم البحر, فقد اتفق الإخوة بربروس مع السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد[2], لجعل تونس مركزا للغارات البحرية[3], ونظرا لهذه الانتصارات فقد استنجد بهم سكان مدينة بجاية عام 1512م وطلبوا منهما مساعدتهم لطرد الإسبان فبدأت عمليات الإنقاذ لما لبى عروج النداء لمهاجمة بجاية وفتح جيجل عام 1514م, ليتخذ عروج من جيجل قاعدة لعملياته ضد الإسبان ومركزا لنشاطاته في حوض البحر الأبيض المتوسط ولقد حاول الإخوة تحرير مدينة بجاية عدة مرات لكنهم لم ينجحوا وبقية في يد الإسبان إلى أن فتحها صالح باشا عام 1555م[4]

كما استنجد شيخ مدينة الجزائر بني مزغنة (سالم تومي) بالأخوين لإنقاذهما من الخطر الذي يهددها سنة 1516م[5], فقدم عروج إلى مدينة الجزائر عن طريق البر رفقة ثمانية ألاف جندي وأنقذوا المدينة, وتقدم نحو شرشال وحررها من الإسبان وأخذ عروج يتوسع في ملكه فامتد إلى مليانة وبلاد القبائل ثم هاجم عروج تنس واحتلها عام 1517م[6], لتنظم إليه وفود من أعيان تلمسان يستنجدونه باسم الإسلام, فسافر عروج إلى تلمسان في مهمة لتوسيع

1- عبد الكامل جويبة , تاريخية العلاقات الجزائرية العثمانية عسكريا وسياسيا , الملتقى الدولي الثاني : العلاقات الجزائرية التركية , ج1 , جامعة بسكرة , 18-19 فيفري 2014 , ص 200 .

2- أحمد توفيق المدني , مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...المصدر السابق , ص39 .

3- عمار بوحوش , التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 , ط1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , لبنان , 1997 , ص 53 .

4- عبد الكامل جويبة , المرجع السابق , ص 24 .

5- أحمد توفيق المدني , حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792) , دار البصائر , 2007 , ص157.

6- عثمان الكعاك , موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي , دار الغرب الإسلامي , 2003 , ص ص 247-275 .

نطاق سلطته وواصل الزحف نحو تلمسان واستطاع التغلب على أبي حمو الثالث ودخل المدينة وقضى على بقية بني زيان , لكن سرعان ما تآمر أبو حمو الثالث مع الاسبان لاحتلال تلمسان فقد شنوا حملة وفرضوا حصارا عليها فتم اغتيال عروج بين وادي المالح وزاوية سيدي موسى سنة 1518م[1], وعد وفاة عروج بايع أهالي العاصمة أخاه خير الدين سلطانا عليهم[2], ليقترح عليهم أن يعرضوا تبعيتهم للدولة العثمانية فيدخلون بذلك في حماية سلطانها, فوافق زعماء الجزائر على هذا الاقتراح[3] ووجه أعيان مدينة الجزائر بقيادة أبو العباس أحمد بن قاضي رسالة إلى السلطات سليم الأول يناشدونه فيها الحماية والانضمام إلى الدولة العثمانية, واستقبل الوفد الجزائري من طرف السلطان سليم الأول وبالغ في إكرامهم, وتذكر المصادر أن السلطان بعث بسفينتين محملتين بالأسلحة يرافقهما ألفين جندي من الانكشارية كما تذكر أن السلطان قد أذن لخير الدين بأن يجمع ما يشاء من شباب الأناضول لتجنيدهم للعمل في الجزائر .

وباسم العقيدة والولاء للسلطان تحالفت الجزائر مع الدولة العثمانية تحالفا سياسيا وعسكريا [4]

(4)

1- يحي بوعزيز , الموجز في تاريخ الجزائر , ج2 , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , 2007 , ص ص 14-15 .

2- محمد دراج , تأسيس ايالة الجزائر , مجلة العصور , العدد 16-17 , جامعة وهران , 2010 , ص 28 .

3- المرجع نفسه , ص 28-29 .

4- عروك رنجة , العلاقات السياسية والعسكرية بين الجزائر والدولة العثمانية (1791-1830) , مذكرة ماستر , جامعة جامعة محمد خيضر , بسكرة , 2015 , ص 20 .

المبحث الثاني : تبعية الجزائر للدولة العثمانية.

يعتبر المؤرخ التركي محمد شكري تاريخ عودة الوفد الجزائري من اسطنبول إلى الجزائر عام 926هـ – 1520م هو التاريخ الذي تأسست فيه إيالة الجزائر في إطار التبعية العثمانية أو ما عرف باسم الجزائر العثمانية[1] .

وقد درج بعض المؤرخين على تقسيم العهد العثماني في الجزائر إلى أربعة مراحل هي :

1- مرحلة البيلربايات 1515 – 1588م :

يبدأ عصر البيلربايات بتاريخ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1518م وأصبحت ولاية من ولاياتها وتم تعيين خير الدين حاكما عليها من قبل السلطان العثماني وتميزت هذه المرحلة بتوطيد الحكم العثماني في الجزائر ووضع أسسه التي يرتكز عليها وتميزت أيضا بازدياد التدخل الاسباني وتكثيف الغارات البحرية إلا أنها باءت بالفشل بفضل البيلربايات الذين هم من كبار رجال البحر الذين يعود لهم الفضل في تنظيم القوة البحرية العثمانية والإشراف على إخضاع باقي شمال إفريقيا للسلطة العثمانية .

وقد ألغت الدولة العثمانية بيلربايات الجزائر وحولتها إلى نيابة يديرها الباشا يعين لمدة ثلاثة سنوات[2] .

2- مرحلة الباشوات 1588 – 1659م :

تميزت هذه الفترة بكثرة الاضطرابات والفوضى وقد حددت فترة الحكم للباشا مدة ثلاثة سنوات ويرجع سبب تغير نظام البيلربايات بنظام الباشوات إلا أن ولاة الجزائر أصبحوا يحكمون

1- خليفة إبراهيم حماش, العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1978-1830) , رسالة ماجستير , تاريخ حديث ومعاصر , جامعة الإسكندرية , 1988 , ص31 .

2- حنيفي هلايلي , المرجع السابق , ص 130 .

القطر حكما مطلقا ويتصرفون في شؤونه بكل حرية حتى طمع بعضهم في إنشاء مملكة تظم المغرب الإسلامي[1]. وحاولوا وضع حد أمام سلطة الجيش الانكشاري من بلاد الأناضول بالاعتماد على الفرق المجندة من القبائل الجزائرية والعربية، لذلك قاموا بتغييره إلى نظام الباشوات لكن حدث العكس فلم يكن هَم الباشوات القادمين للولاية سوى جمع الثروات، وكان لهذا التصرف دور في خلق الانفصال بينهم وبين الرعية .

قد تميز عهد الباشوات بتجدد أطماع الدول الأوروبية كإسبانيا وفرنسا وانجلترا وهولندا كما تجدد النزاع على الحدود بين الجزائر وتونس المغرب [2] .

3- مرحلة الآغاوات 1659 – 1671م :

وبعدها تم تغيير نظام الحكم أثناءها نتيجة انقلاب قادة رياس البحر ضد حكم الباشوات وأقاموا مكانها نظاما أسندت فيه السلطة للأغا وكانت مدة رئاسته تزيد عن السنتين كما تم تحديد نفوذه وحصر سلطته في تنفيذ قرارات الديوان ومجلس الحكومة، وكان للديوان صلاحيات كبيرة، فهو الذي يحكم البلاد ويسند السلطة التنفيذية إلى كبير ضباط الجيش الذي يتمثل في الأغا نفسه خلال مدة الحكم وكان عددهم أربعة: خليل آغا ورمضان آغا وشعبان آغا وعلي آغا وكلهم ماتوا مقتولين لان هذه الفترة كانت ممتلئة بالفتن واغتيالات الحكام نتيجة عجز هؤلاء عن توفير الاستقرار[3], فتميز عهدهم بإراقة الدماء والفوضى والاضطراب وهي أوضاع لم تشهدها البلاد قط لهذا لم يتقدم احد لمنصب الآغوية خوفا من الاغتيال فآلت السلطة إلى طائفة رياس البحر القوة المنافسة للجيش الانكشاري واستغلوا

1- ناصر الدين سعيدوني , النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830) الشركة الوطنية للنشر , الجزائر 1979م , ص 20

2- حنيفي هلايلي , المرجع السابق , ص 132 .

3- أحمد سليماني , النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني , مطبعة دحلب , الجزائر , 1993 , ص 12

الفرصة بتغير نظام الأغوات بنظام جديد ألا وهو نظام الدايات فاجتمع الديوان وقرر تبديل النظام وصار الديوان ينتخب الداي مدى العمر[1] .

4- مرحلة الدايات 1671 – 1830م :

هنا دخلت الجزائر مرحلة جديدة في العلاقات مع الدولة العثمانية إذ شهدت نوع من الاستقلال شبه التام عن الباب العالي وتجدر الإشارة أن ظروف انتقال السلطة من قادة الجيش البري إلى قادة الجيش البحري غير واضحة. فقد ذهب فريق إلى القول أن قادة الجيش الانكشاري حينما أدركوا خطورة تأزم الوضع السياسي فانسحبوا من الحكم لصالح طائفة رياس البحر، ويذهب فريق آخر أن طائفة الرياس تآمرت على آخر الأغوات علي آغا، وقتلوه أوائل عام1671م، مما أدى إلى رفض المنصب من طرف الآغوات باعتباره أنه يؤدى إلى نفس المصير الذي وقع فيه علي أغا فقد اتفقت طائفة الرياس مع الديوان الذي تمثل الأغلبية داخله على إلغاء نظام الآغوية وتعويضه بنظام الدايات[2]، وعلى خلاف نظام الآغوات كان حكم الدايات ينتخب فيه الداي مدى الحياة ولا شك أن بقاء الداي في منصب الرياسة طوال حياته يساعد على إيجاد نوع من الاستقرار حيث استطاع أن يكونوا لأنفسهم سلطة واسعة فهم يعينون الوزراء ويبرمون الاتفاقيات الدولية ويعلنون الحرب ويعقدون معاهدات السلم وكان أول داي حكم الجزائر هو الحاج محمد باشا[3] .

1- ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , ص 24 .

2- يحيى بوعزيز , المرجع السابق , ص 42 .

3- عمارة عمورة , الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م , ج1 , دار المعرفة , الجزائر , 2009 , ص 205 .

المبحث الثالث : مظاهر ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية.

عرفت العلاقات بين الجزائر والباب العالي تطورا وتغيرا ارتبط بالعديد من المظاهر والعوامل التي أثرت في بعض الأحيان في العلاقة بين الطرفين ومن أبرز مظاهر هذا الارتباط ما يلي :

1- تبادل الهدايا بين ايالة الجزائر والباب العالي :

يعتبر تبادل الهدايا بين الجزائر والدولة العثمانية أرضية صلبة بني عليها جسر العلاقات السياسية والعسكرية التي ظلت قائمة بين الجانبين حتى سقوط مدينة الجزائر على أيدي الفرنسيين عام 1830م حيث كانت الهدايا التي ترسلها الجزائر إلى الدولة العثمانية تمثل مظهرا منم ظاهر ارتباطها بالدولة العثمانية، لهذا أحدثت في غالب الأحيان طابعا دبلوماسيا في تجديد وإحياء الصلات بين أجواق الإيالة ودار الخلافة، ورغم أن هذه الهدايا كان لها دور اقتصادي إلا أنها مكنت الإيالة من الحصول على فوائد عديدة منها تسهيل الحصول على قفطان تولية الداي، وتعزيز جهاز الإيالة الحربي والاقتصادي وبهذا اكتسب حكام الإيالة وضعا شرعيا في أعين الأهالي يعزز سيطرتهم عليهم[1] وعملية تبادل الهدايا لا يمكن تحديد بعدها الأدبي إلا بعد تأصيل جذورها التاريخية التي تعود إلى عام1518م، عندما أرسل خير الدين إلى السلطان سليم الأول أربعة سفن تحمل عددا من الهدايا المتنوعة تعبر عن رغبته في انطواء الجزائر تحت راية دولته لكسب دعمها السياسي والعسكري في الحرب التي كانت بين أهل الجزائر والإسبان. ومنذ عام 1711م اتخذ تبادل الهدايا بين الطرفين أهميته التاريخية وترَسخ كتقليد على كل والي جديد أدى أداؤه اتجاه السلطان العثماني تعبيرا عن الولاء له واعترافا بتبعية الجزائر للدولة العثمانية[2]، وبازدياد الخطر الأجنبي في المراحل

1- فاطمة الزهراء سيدهم : موارد الإيالة الجزائرية المالية في مطلع القرن التاسع , مجلة كان التاريخية , 13ع , 2011 , ص 27 .

2- خليفة إبراهيم حماش : المرجع السابق , , ص 150 .

الأخيرة من التواجد العثماني في الجزائر كانت هدايا السلطة العثمانية في تلك الظروف الصعبة ذات الأثر الإيجابي على الجهاز الدفاعي للجزائر، فكانت خير مساعدة للمحافظة على كيان الجزائر الدولي. وكانت الإيالة الجزائرية تلتزم بين الحين والآخر بتقديم هدايا ردا لهذه الإعانات التي تتحصل عليها، وبهذا توثقت العلاقات الدبلوماسية بينهما[1]، ويمكن أن نعتبر الهدايا أحد وجوه الإنفاق المدرجة ضمن هذه المعاملات المترتبة على النظام المالي، ولما تستلزمه من نفقات لدى الإيالة وقد تنوعت الهدايا التي كانت تبعث إلى الدولة العثمانية فنجد مثلا :

مثل ما أرسله خير الدين للسلطان العثماني سليم الأول والذي تمثل في أربعة سفن تحمل عددا من الهدايا المتنوعة عام 1518م تعبيرا عن رغبته في انطواء الجزائر تحت راية دولته لكسب دعمها السياسي والعسكري .

الهدية التي أرسلت من طرف الداي حسين باشا عام 1819 مع الحاج يوسف وكيل الحرج السابق إلى الدولة العثمانية ولما وصلوا إلى إستانبول استقبلوا من طرف السلطان بالفرح والسرور كما يقول الزهار أنزلوهم منزل العز والقبول، كما دفعوا هدايا للوزراء وألبسهم السلطان الخلع وأحسن إليهم غاية الإحسان([2]).

2- الدعاء للسلطان :

نظرا لأهمية منصب الخلافة وقداسته حيث كان الجزائريون يعتبرون الولاء له بمثابة القوة التي تشدهم إلى العالم الإسلامي وتقوي انتماءهم إليه وكان من أبرزها الدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة والأعياد واستمر ذلك حتى بعد سقوط مدينة الجزائر سنة

1- ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , النظام المالي للجزائر, ص 20

2- عروك رنجة : المرجع السابق , ص 35 .

1830م على يد الفرنسيين[1], وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قوة الانتماء للدولة العثمانية .

3 –الراية رمز التبعية للدولة العثمانية :

وقد استعمل الجزائريون في العهد العثماني رايات متعددة منها ما اشتركوا فيه مع العثمانيين بحكم الانتماء , ومنها ما انفردوا به لاعتبارات خاصة, حيث كانوا يرفعون يوم العيد العلم العثماني على قصر الداء, وعلى التحصينات العلم الجزائري ويوم الجمعة والأعياد يرفع العلم الإسلامي, وقد وصف العلم باللون الأخضر وظلت ترفع هذه الراية في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان مراد الأول إلى غاية القرن التاسع عشر .

أما النوع الثاني من الراية التي كان استعمالها ملحوظا في الجزائر, هي الراية الحمراء التي اشترك فيها الجزائريون مع الدولة العثمانية اللون الذي بقى لدى الأتراك حتى الوقت الحالي, وكان هناك نوعان من الراية الحمراء : الشكل الأول الراية الحمراء العادية التي كانت ترفرف فوق الحصون قرب المدينة عندما استولى عليها الفرنسيون 1830م, وهي الراية نفسها التي كانت شفن الأسطول العثماني ترفعها في مواجهة الحملات .

أما الشكل الثاني للراية الحمراء فقد احتوى على مقص أبيض مفتوح وذراع يحمل سيف ذي الفقار واستعمله الحاج احمد باي قبل حكم قسنطينة[2].

4 – العملة :

لقد خضعت العلاقات الجزائرية العثمانية طوال ثلاثة قرون لحركة المد والجزر، بحيث تحكمت فيها مصالح

1– خليفة إبراهيم حماش :المرجع السابق , ص 147 .

2– المرجع نفسه , ص ص 173–174 .

متبادلة بين الطرفين، رغم ذلك بقيت بعض المظاهر التي كانت الإيالة الجزائرية تعدها واجبا من بينها ضرب السكة أو العملة باسم السلطان العثماني التي تعتبر إحدى اشارات الخلافة الرئيسية، فقد حرص الحكام دائما على ضمان الحق للسلطان وذلك بضرب العملة باسمه وفي هذا الصدد يقول البايلرباي خير الدين " وقد ظهر من الراي أن نعتمد في حماية هذه المدينة على الله سبحانه وتعالى، ونلتزم بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان سليم نصره الله في مدنا بالحال والرجال وما نحتاج إليه من آلات الجهاد ولا يكون ذلك إلا بإلقاء الخطبة إليه وضرب السكة باسمه"[1] وقد ظلت النقود الذهبية والفضية طوال الفترة عبر النقوش التي كانت على وجه السكة، ومن بينها العثمانية التي تحمل اسم السلطان العثماني

النقود:

الدينار الذهبي: ويحتوي على نقوش تشير إلى أسماء سلاطين الدولة العثمانية تعبيرا على مظاهر التبعية.

الدينار السلطاني: اتخذ هذا الاسم نسبة إلى السلطان العثماني في عهد محمود الثاني.

إن الأهمية الرمزية للسلطان على مدى ثلاثة قرون انحصرت في إرساء فكرة السيادة السياسية له التي كانت تشير إلى مرجعية الكيان السياسي، وفي هذه الأخيرة نوع من الاستقرار للخلافة العثمانية الشرعية[2].

1- محمد جحيش : تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات ، تلمسان، 2011 ، ص ص 209.210.

2- ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , ص 325 .

وبالرغم من أن الفترة الأخيرة للإيالة الجزائرية عرفت استقلالا عن الدولة العثمانية ففي سنة 1819 أمر الداي حسين، ببناء دار السكة داخل القصبة وعندما تم بناؤها أمر أمين سكة أن ينتقل إليها، وبتعيين نائبا عنه من أجل المراقبة، وبعدها تم الأمر بصنع قطع سلطاني ذهب، وميزان السلطاني عشر نواية وصنع نصف السلطاني وربع السلطاني لكن التوحيد النقدي ظل متداولا حتى وأن تم التوحيد السياسي لقطر الإيالة الجزائرية[1] .

1- عروك رنجة : المرجع السابق , ص 35 .

الفصل الأول : العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية في عهد البايلربايات والباشوات

- المبحث الأول : مقومات الجيش البري والبحري للإيالة الجزائرية.
- المبحث الثاني : دور البحرية الجزائرية في تحرير تونس وطرابلس.
- المبحث الثالث : دور البحرية الجزائرية في نجدة المورسكيين.
- المبحث الرابع : دور البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية.

المبحث الأول : مقومات الجيش البري والبحري للإيالة الجزائرية

أولا : الجيش الإنكشاري

يعود تاريخ التواجد الجيش الانكشاري في الجزائر إلى تاريخ انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية سنة 1520م، وذلك نظرا للأوضاع التي شهدتها الجزائر في تلك الفترة مع مطلع القرن السادس عشر والمتمثلة في الهجمات الاسبانية على سواحلها[1]، وكانت مهمة الجيش العثماني بالجزائر تنحصر في الدفاع عن البلاد من الأخطار الأجنبية والمحافظة على الأمن العام، ومنذ التواجد العثماني بالجزائر بدأ الحكام في تأسيس الحاميات العسكرية في ربوع البلاد لما لها من أهمية كبرى واستراتيجية داخل الإيالة[2]، ولقد كانت الانكشارية[3] سلاحا حادا رهيبا استطاعت الدولة العثمانية من خلاله تحقيق أكبر انتصاراتها وفتوحاتها، ويرجع الفضل في فكرة تأسيس فرقة الانكشارية إلى السلطان أورخان[4] وهذا باقتراح من أخيه الوزير علاء الدين والباشا خليل جندرلي، وهو كأي جيش في العصر الحديث يحتاج إلى نظام داخلي يبين فيه للجنود قوتهم على الدولة، ويعرضهم على حقوقهم وواجباتهم، وقد تبلور ذلك النظام فيما عرف بقانون السلطان مراد الأول[5]، وتدور هذه المبادئ حول حقوق الجنود والانكشارية والزواج والتربية الدينية والانضباط[6]،

1- محمد دراج، بلال مريم، العلاقات العسكرية بين الدولة العثمانية وإيالة الجزائر 1520-1830م، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج4، العدد 2، سبتمبر 2021م، ص 555.

2- دلباز محمد، الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني على ضوء دفاتر التشريفات – ترجمة وتعليق –، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م، ص 63.

3-الحاج بكداش شيخ الطريقة البكداشية هو من سمى هذه الفرقة بالإنكشارية وسماهم "بني تشاري" أو "يني شيري" ويرسم بالتركية هكذا (بيكاجاري) أي الجيش الجديد ثم حرف في العربية فصار الانكشاري. ينظر محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية، تح إحسان عبد القدوس، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص 123.

4- السلطان أورخان هو ثاني السلاطين العثمانيين ولد سنة 687 هـ/1281م بسُكود عاصمة إمارة والده والدته هي مال خاتون بنت الشيخ "إده بالي"، تولى الحكم في 17 رمضان 726هـ/1326م دامت فترة حكمه 35 سنة توفي سنة 761هـ/1362م. ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة ar.m.wikipedia.org

5- السلطان مراد الأول هو ثالث السلاطين العثمانيين ولد سنة 726هـ، تولى الحكم سنة 761هـ، دامت فترة حكمه 31 سنة، قام بعدة إصلاحات داخلية، مات مقتولا سنة 791هـ. ينظر محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص 39،43.

6- حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 9.

كما ضبط سلوك هاته الفرق مما جعلها ولفترة طويلة عماد الدولة العثمانية، ووردت خصوص هذا القانون في المواد التالية :

1- الطاعة التامة لقادة الجيش.

2- وحدة الصف والإقامة.

3- البعد عن البذخ وعن كل ما يشين الإنكشاري.

4- الارتباط التام بالشريعة الاسلامية والطريقة البكداشية باعتبارها هي من سمت هاته الفرقة.

5- عدم قبول غير المجندين عن طريق الدفشرمة[1].

6- خصوصية الإعدام بالنسبة للإنكشاري.

7- الترقية حسب الأقدمية.

8- لا يعاقب الإنكشاري إلا من طرف قائده الآغا.

9- يحال المعاق على التقاعد.

10- يجب على الإنكشاري أن يحلق ذقنه لأن اللحية من حق الأحرار فقط.

11- منع الزواج على الإنكشاري.

12- لا يحق للإنكشاري الابتعاد عن الثكنة.

13- لا يجوز للإنكشاري احتراف أي مهنة.

14- يمضي الإنكشاري أوقاته في احتراف التدريب على فنون القتال[2].

ولقد تكونت فرق النظام العسكري الجديد بفضل عملية الدفشرمة أو الدوشرمة (Deusirme) التي تتم كل خمس سنوات ثم تقلصت الفترة إلى ثلاث سنوات ثم سنتين، ثم أصبحت تتم كل سنة، وإنما تتم بعد إصدار السلطان لفرمان ينص على

1- الدفشرمة ومعناها اللفظي يجمع أو يقطف وهي عملية جمع الصبية المسيحيين وتربيتهم تربية عسكرية إسلامية بعيدا عن الوطن والأهل، لا يعرفون أبا غير السلطان ولا حرفة غير الجهاد في سبيل الله. ينظر جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م، ص3.

2- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 4،5.

ذلك، حيث يكلف ضابط في الجيش الانكشاري برتبة ياباشي بالسهر على جمع أبناء المسيحيين الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و 15 سنة ليختار أقواهم وأصلحهم للخدمة العسكرية[1]، وكانوا يجمعون من مختلف المناطق الخاضعة للدولة العثمانية مثل صربيا، مقدونيا، ألبانيا، بلغاريا، البوسنة والهرسك وأرمينيا[2]، كما كان يؤتى بالجند من سميرين وقارماني وأوسنتاش[3].

1/ النواة الأولى للإنكشارية في إيالة الجزائر:

تفيدنا الدراسات أن عروج هو أول من فكر في إقامة مراكز الحاميات[4] في المناطق التي تم إخضاعها لسلطانه، فشيد حامية بشرشال مكونة من مائة جندي، وأخرى بقلعة بني راشد أوكلت مهمة قيادتها لأخيه اسحاق لتكون مركز الدعوة أثناء فتحه لتلمسان، والواقع أن مثل هذه الاستراتيجية العسكرية مكنت من تثبيت الوجود العثماني بالجزائر في إطار يعتمد على الاستحكامات والتحصينات الدفاعية حيث أن الأتراك اعتمدوا في بناء الأبراج والحصون على خطط الرومان العسكرية، حيث أن معظمها بني على أنقاض وبقايا أبراج ونقاط مراقبة رومانية والفرق بينهما يكمن في الوسائل المستعملة للدفاع عنها[5]، وبدأت النواة الأولى للانكشارية في الجزائر تتشكل منذ إرسال السلطان سليم الأول (1512-1520م) لـ : 2000 جندي مسلحين بالبنادق وعددا من رجال المدفعية مع مدفعيتهم[6]، كما سمح لقرابة أربعة آلاف

1- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 10.

2- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 3.

3- Jean-Michel Venture de Paradis, Alger au XVIIIe (18) siècle, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire-Editeur, Place du Gouvernement,1898, p 57.

4- شيدت الجزائر خلال العهد العثماني مراكز دائمة للمراقبة يتناوب الجنود عليها خلال فترات معينة، وقد أطلق عليها اسم الحامية أو النوبة، وهي مكونة من عدد من السفرات وتعني المائدة التي يجتمع حولها اليولداش عند موعد تناول الطعام. ينظر نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، نشرية كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة، 1965م، ص 79.

5- دلباز محمد، المرجع السابق، ص 63.

6-ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة المغربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 254.

متطوع تركي منحوا نفس إمتيازات الإنكشارية بالانتقال إلى الجزائر[1] _ وهو ما سنتكلم عليه لاحقا _، حيث شجعت الدولة العثمانية على تأمين مصاريف الطريق للراغبين في الذهاب إلى الجزائر، ووعدتهم بالحصول على الامتيازات التي تحصل عليها الإنكشاريون في اسطنبول، ولقد جاء هذا الإرسال نتيجة طلب خير الدين أعيان مدينة الجزائر بالانضمام إلى الدولة العثمانية على أن تكون الجزائر بوابة على أن تكون الجزائر بوابة افريقيا، ولقد سارعت هاته الأخيرة بقبول هذا العرض، وقد سمح السلطان العثماني لكل من يريد الذهاب إلى الجزائر والدخول في الجيش الانكشاري بالمرور من تركيا إلى الجزائر بكل حرية، وأن كل هؤلاء المهاجرين يمكنهم التمتع بكل حقوق الجنود مثل تركيا، حيث أرسلت للإيالة بعدما أظهر خير الدين بسالته وتحقيقه لعدة انتصارات وبطولات إضافة إلى الوعود والامتيازات التي قطعتها الدولة العثمانية للمتطوعين بإرسال أربعة آلاف متطوع مسلحين بالبنادق إلى الجزائر، وجاءت تلك القوات في وقتها المناسب ولم تكن زائدة عما يتطلبه الموقف آن ذاك في الجزائر، حيث كانت قوات خير ذلك الوقت تقدر بحوالي 5000 آلاف جندي.

وإن كانت هاته المساعدة قد حققت لخير الدين فائدة عظمى، وبذلك دخلت الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية وأصبحت ضمن ولاياتها[2]، وقام السلطان سليم الأول بمنح خير الدين رتبة بيلرباي أي أمير الأمراء حيث أصبح بموجبها القائد الأعلى للقوات المسلحة في إقليم الجزائر، وممثلا خاصا للسلطان العثماني، وتم ضرب السكة باسم السلطان العثماني وذكر اسمه في الخطبة[3]، وأرسل له السلطان مع قرار التعيين سيفا مرصعا بالذهب وخِلعة مذهبة وراية الإمارة، كما أرسل له سفينتين مشحونتين بالعتاد وألفي جندي _التي ذكرناها سابقا_ ، ولقد كان هذا الدعم العسكري بالرغم من رمزيته يعتبر أول تعاون عسكري بين الجزائر والدولة العثمانية، وكانت الفرقة الإنكشارية التي تم إرسالها أول عملية تجنيد لصالح الجزائر، ومنذ هذا التاريخ بدأت عمليات التجنيد

1- محرز أمين، الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص 19.

2- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، د.م.ج، الجزائر، 2002م، ص 16.

3- بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م، ص 108.

للعمل في الجزائر واستمر ذلك إلى نهاية الحكم العثماني بها[1].

وألبسها ذلك الوضع نوعا من الحماية ودرأ عنها الكثير من الأخطار خاصة الأطماع الاسبانية، ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر جيش انكشاري خاص عرف بـ " أوجاق الجزائر[2] " بجميع هياكله ومؤسساته، وكان استقراره بمدينة الجزائر حيث بنيت له ثكنات للإيواء ونظمت قوانينه ورتبه كما حددت أجوره[3]، وقد بلغ عد الأوجاق في مدينة الجزائر أربعمائة وأربعة وعشرون أوجاقا (424) يحمل كل أوجاق رقما يعرف به[4].

2/ تجنيد الانكشارية في إيالة الجزائر :

أرغمت الضرورة العسكرية وحركة الجهاد ضد الأخطار الأجنبية، خاصة الخطر الإسباني على إيالة الجزائر إلى الاهتمام بجمع المجندين من أنحاء الدولة العثمانية، وكانت ترسل لهذا الغرض أشخاصا يطلق عليهم اسم الدائيات[5] وهم الذين يشرفون على التجنيد، وهم كذلك من انكشارية الجزائر، وكانت توضع تحت تصرفهم مبالغ مالية معتبرة تساعدهم في متطلبات التجنيد[6]، ولهذا حول السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) لخير الدين بربروسا حق التجنيد من مناطق الأناضول ابتداءا من سنة 1525م، ومنذ هذا التاريخ أصبح للجزائر وكالات خاصة[7] منها بخان أزمير والتي

1- محمد دراج وآخر، المرجع السابق، ص 558.

2- كان لهذا المصطلح في الجزائر ثلاثة مفاهيم فكان من جهة أورطة أي وحدة عسكرية من وحدات الجيش الإنكشاري، ويستعمل من جهة ثانية بمعنى الجيش النظامي، أما ثالثا فتستعمل للدلالة على الإيالة نفسها. ينظر حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 12.

3- سحابات زهيرة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية (1518-1671م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م، ص 92.

4- عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 78.

5- حماش خليفة، تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 2، مارس2003.

6- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 15.

7- كان للجزائر 14 وكالة عبر العالم : اسطنبول، أزمير، أوليسون، قبرص، طرابلس الشرق، الإسكندرية، رشيد، طرابلس طرابلس الغرب، تونس، مرسيليا، جبل طارق، طنجة، كوسوفو، بلغاريا. ينظر جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 12

يقيم فيه الدائيات ويرأسهم باش دائي، كما كان لها موكل بميناء أزمير الأناضول يسجل المتطوعين من شباب المنطقة ويقد لهم كل المغريات المادية والأدبية للالتحاق بالعمل العسكري في إيالة الجزائر، وعلى رأس هاته المغريات جمع الثروات الطائلة والوصول إلى المناصب العليا في الدولة[1].

كما اعتمد إلى جانب هاته البعثات الرسمية على بعض الوكلاء المستقرين بسواحل آسيا الصغرى وبعض جزر إيجة، وقد خلص المؤرخ الفرنسي "كولومب" بأن عمليات التجنيد تكلف خزينة الحكومة الجزائرية الكثير من الأموال[2]، حيث لم تقتصر المصاريف على إطعام وكساء وتغطية المجندين الجدد فحسب بل تعدتها إلى تقديم الهدايا لكل حسب درجته سواء في محيط السلطات المركزية العليا أو بين موظفي الإدارة المحلية بالإضافة إلى الوسطاء الآخرين[3]، كما تجدر الإشارة إلى أن سلطات الجزائر استعملت طرق أخرى لجلب المتطوعين بعيدا عن مراقبة الباب العالي[4]، حيث كان هناك أسلوب آخر حول عملية التجنيد وهذا ما يذكره حمدان خوجة " ... وبمجرد ما يحصل أحدهم على بعض المال يسافر إلى تركيا مسقط رأسه فيأخذ معه ألبسة فاخرة ليظهر في مظهر الرخاء والترف أمام بني وطنه ليعجبهم إذ ربما هو ابن لأحد العمال أو المزارعين، وعندما يعود إلى الجزائر حيث عائلته يصطحب معه جماعة من سكان بلاده يقدمهم إلى الدفتر وتحت ضمانة يقبلون في صفوف الميليشيا، ثم يتولى بنفسه تدريبهم على الجندية وتعليمهم واجباتهم الجديدة، ويخبرهم بأن في استطاعتهم الارتقاء يوما إلى أعلى مرتبة، وفي إمكانهم على غراره وبعد أتعاب الحرب أن يتمتعوا براحة طيبة ويعيشوا في هناء ورخاء في أوساط المجتمع، وأن يتزوجوا بدورهم من الأهالي، وبهذه الطريقة تكون حكومة الأتراك تشجع وبطريقة غير مباشرة التجنيد وامتيازاته[5].

وفيما يخص عمليات نقل المجندين الجدد إلى الجزائر فإنها كانت تتم في ظروف

1- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 17.

2- رابح كنتور، الجيش الانكشاري في الجزائر بين 1519 و 1830م، مجلة أفكار وآفاق، مج 9، ع2، 2021م، ص 92.

3- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 17.

4 - الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، 1982، ص 21.

5- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة ، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، م.و.ف.م، الجزائر، ص 81.

صعبة للغاية خاصة إذا انعدمت وسائل النقل والمتمثلة في عدم وصول السفن الجزائرية، لهذا أوصي الوكلاء باستئجار سفن أجنبية أوربية أو اسلامية لنقل المتطوعين، ثم يجمع هؤلاء المجندين الجدد في موانئ اسطنبول وسميرين والإسكندرية ورودس وموانئ جزيرة كريت، ويعنى بإيصالهم إلى الجزائر رياس البحر في سفنهم الخاصة أو سفن البلدان الأجنبية[1].

3/ ثكنات الانكشارية وأماكن إقامتهم :

عند وصول المجندين إلى مدينة الجزائر يستقبلون في ثكنة خاصة بالمجندين الجدد بعد أن يسجل اسمه واسم أبيه وموطنه الأصلي والحرفة التي كان يمارسها[2] في دفاتر خاصة بالانكشارية " دفتر يكيجيري "، كما تسجل صفاته الخاصة مثل لون البشرة والقامة وحتى العاهات الموجودة فيهم، وبعد التسجيل يعطى للانكشاري رقم خاص يشير إلى الأوجاق الذي أصبح ينتمي إليه، وترسم على ذراعه علامة تدل على انتمائه إلى الأوجاق ولا يبدأ العمل إلا في الربيع الموالي[3]، ثم يوزعون على الوجاقات[4] البالغ عددها 424 وجقا، والتي تضم عددا غير محدود من الجنود، وبصفة عامة فإن أغلبها كانت تضم 10 جنود فقط[5] ولقد احصاها (J-Deny) 420 وجقا كالآتي :

134 أوجاق يضم كل منها ما بين 11 و 20 رجلا

156 أوجاق يضم كل منها ما بين 21 و 30 رجلا

81 أوجاق يضم كل منها ما بين 31 و 40 رجلا

21 أوجاق يضم كل منها ما بين 41 و 50 رجلا

15 أوجاق يضم كل منها ما بين 51 و 60 رجلا

06 أوجاق يضم كل منها ما بين 61 و 70 رجلا

1- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص 17، 24.

2- رابح كنتور، المرجع السابق، ص 93.

3- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 21.

4- ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، 56.

5- رابح كنتور، المرجع السابق، ص 93.

03 أوجاق يضم كل منها ما بين 71 و 80 رجلا

02 أوجاق يضم كل منها ما بين 81 و 90 رجلا

02 أوجاق يضم كل منها ما بين 91 و 100 رجلا[1]

ولقد تضاربت المصادر التاريخية بخصوص أعداد ثكنات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية ففي عهد هايدو كانت خمس ثكنات كبيرة وثكنتان صغيرتان، في حين يحددها بارادي عام 1788م ما بين 7 و8 ثكنات، أما كاثكارت فيحددها بست ثكنات، وقد أشار المؤرخان الفرنسيان باربورجر ودوفولكس في دراستهما حول الثكنات الإنكشارية بالجزائر فيذكران فقط سبع (7) ثكنات، أما الدراسة الهامة التي أجراها جون ديني (J-Deny) بالاعتماد على سجل أجور الإنكشارية فمكنت من تصويب العديد من المعلومات التي وردت في المصادر الأوربية فحددها بثماني ثكنات[2]، وكانت هذه الثكنات خاصة بالعزاب من الإنكشارية دون المتزوجين وهي:

"دار الإنجشايرية بالخراطين" وهي أقدم الثكنات بالجزائر، أسست من طرف خير الدين، وتتألف من بنايتين متجاورتين:

1- ثكنة "صليح باشا" (صالح باشا أوده لري) وتوجد بقرب الميناء وتتشكل من26 غرفة (أودة) تضم 1266 رجل يمثلون 60 أوجاق.

2- ثكنة " علي باشا " (علي باشا أوده لري) وهي مجاورة لثكنة صليح باشا وتتكون من 24 غرفة تأوي 1516 فردا مكونين 55 أوجاق.

3- دار الإنجشايرية "باب عزون" (باب عزون أوده لري)، وتتكون من 28 غرفة (أودة) يسكن بها 1611 إنكشاري وتشكل 63 أوجاق.

4- الثكنة القديمة (إسكي أوده لري)، أو الفوقانية وتقع في حي المدية وتتكون من 31 غرفة تضم 1089 مجندا وتشكل 60 أوجاق.

1- Deny Jean, les registres de solde des janissaires conserves a la bibliothèque nationale d'Alger, in Revue Africaine ,(N 61), p 41.

2 - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 29.

5- الثكنة الجديدة (يكي أوده لري)، أو التحتانية (السفلى)، وتوجد في نفس الحي وتتكون من 19 غرفة وتضم 856 جندي مشكلة 38 أوجاق.

6- دار" أوسطه موسى" (أسته موسى أوده لري) وتقع قرب باب بحر (باب دزيرة) وبها 31 غرفة يشغلها 1833 مجندا مكونين 72 أوجاق[1].

7- دار الإنجشايرية" مقرون" (مقرر أوده لري) "مقرر أودة لري"، وتتكون من27 غرفة يسكنها 899 جنديا يشكلون 48 أوجاق، ويعود بناءها، حسب تقديرات " ***Devoulx*** " إلى عهد" العلج علي" (1568-1572م)، وإن لم يوافقه على ذلك " ***J.Den*** "، الذي لم يوافق أيضا على التسمية (مقرون) ولا على تفسير " ***Berbregger*** " لذلك ، حيث يقول هذا الأخير أنها سميت بهذا الاسم لتناول ساكنيها المسنين للمعكرونة، لعجزهم عن تناول الأطعمة القاسية، أما " ***J. Deny*** " فيقول أنها مشتقة من التقرير أو المقررين.

8- ثكنة يالي (يلي أوده لري) وتقع في مقابل ثكنة "أوسطه موسى" وتسمى أيضا بـ "دار الدروج " وتتكون من 15 غرفة تأوي 602 إنكشاري مشكلين 27 أوجاق[2].

ولقد تمتعت الثكنة في في الجزائر إبان العهد العثماني بحصانة فائقة بحيث لا يمكن لأحد اقتحامها مهما كانت وظيفته وهذا للقبض على لاجئ إليها سواء كان هذا الأخير تركيا أو عربيا أو مسيحيا أو يهوديا، كما عرفت دور الإنكشارية باتساعها ونظافتها الفائقة إذ سخر البايلك لخدمة الانكشارية في الثكنات الأسرى المسيحيين حيث كانوا يسهرون على نظامها دائما، ولم يكن هؤلاء الأسرى ليشكوا من حالهم في الثكنات لأن الجند كانوا يعاملونهم معاملة حسنة ويعتبرونهم بمثابة أصدقاء وليسوا خدم[3].

ولم تكن هذه الثكنات تخضع عادة لسلطة الداي بل لسلطة الآغا، ورغم ذلك كانت أبوابها تغلق ليلا وتحمل مفاتيحها إلى قصر الداي مع مفاتيح المدينة اتقاءا لأعمال الشغب والانقلابات التي تقع عادة في الليل، وقد أشار "Berbrugger" في مقاله السابق الذكر أن ثكنة باب عزون كانت مركزا دائما للثورات وكذا ثكنة الخراطين القريبة

1 - جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 22-23.

2 - المرجع نفسه، ص 23.

3 - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 77.

منها، وكان معظم البيوت المكونة لثكنات الإنكشارية تسمى بأسماء الشخصيات التي عاشت بها في فترة التجنيد كالدايات والبايات وغيرهم من الموظفين الساميين في الدولة الذين عاشوا في بهذه الغرف كمجندين قبل أن يتركوها للالتحاق بالأعمال الإدارية، _ وهذا ما ذكرناه آنفا أن بعض الجنود ممن سكنوا هاته الغرف أصبحوا فيما بعد من موظفي الدولة وخاصة ثكنة باب عزون _ مثل "بيت كتشوك علي" و"بيت كتشك عثمان" و"بيت قارة بوصلي"، "بيت بابا حسن" وغيرها من الأسماء التي تدل على أن أصحابها عاشوا في فترة شبابهم بهذه الغرف، وكان يسجل ذلك رسميا في وثائق تحدد موضع كل غرفة ويكتب على الشكل التالي : (1199هـ/1784-1785م) بيت سيدنا ومولانا محمد باشا في الجهة اليسرى في الطابق العلوي وتأوي أوجاق رقم 310[1].

كما تجدر الإشارة إلى أنه يحق للانكشاري أن ينتقل من أوجاق إلى آخر دون ترقية، وهو ما أشير إليه في سجلات الأجور بكلمة "نقل" التي كتبت إلى جانب الأوجاق الأصلي لذلك يظهر اسم الجندي عدة مرات في السجلات ويشار إلى تاريخ التغيير لتفادي الأخطاء في دفع الأجور[2].

بالإضافة إلأى الثكنات كان الإنكشاري يسكن الخانات، التي وصل عددها في مدينة الجزائر وحدها إلأى 30 خانا، ويمكن لهذه السكنات المشتركة أن تأوي حوالي 15000 ساكن معظمهم من السلك العسكري والغرباء عن المدينة[3].

4/ التنظيم العسكري للجيش الإنكشاري :

أ- ألقاب الجند ورتبهم :

يمر الانكشاري خلال خدمته العسكرية بعدة مراحل تبدأ بمرحلة التعلم وهي المرحلة التي يكون فيها المجند تلميذا لا رتبة له، وكان ذلك بعدما يتم ضمه ضمن

1 - جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 23.
2 - سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 97.
3 - جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 25.

عملية الدفشرمة ، وكان التلميذ يطلق عليه لقب " عجمي أوغلان"، ويمر مباشرة عبر الرتب التالية[1]:

1- **يني يولداش** : وهو الجند الجديد أدنى رتبة في الجيش الإنكشاري

2-**أصكي يولداش** : الجندي القديم يحصل على هاته الرتبة بعد مرور ثلاث سنوات من الخدمة.

3-**وكيل الخرج ألتي** : الجندي يصبح مساعد وكيل الخرج

4-**وكيل الخرج** : مهمته توفير المؤونة للجنود كما يشرف على نقل المتاع والخيام، وهو يلعب دور المقتصد.

5- **الأوداباشي** : رئيس الفرقة أو الوجاق وتنحصر مهمته في السهر على حفظ النظام العام والانضباط داخل الفرقة.

6- **البلوكباشي** : يمكن لهذا الضابط من قيادة النوبة فيصبح برتبة آغا النوبة

7-**الآياباشي** : ضابط سام في الإيالة منهم يختار لمنصب الكاهية، كما يعين منهم السفراء والمبعوثين إلى الخارج، كما يتولى بعضهم مراقبة السفن عند مغادرتها الميناء وهم من مستشاري الديوان ويرافقون الداي في كل المناسبات.

8-الكاهية : يسهر على حفظ الأمن والنظام العام في المدينة ويترأس اجتماع الضباط.

9- آغا الانكشارية : يرقى الكاهية إلى رتبة آغا الهلالين وهي أعلى رتبة في الجيش، وتقدر المدة الزمنية لهذا المنصب بشهرين قمريين لذلك كان يتداول على هذا المنصب ستة آغوات سنويا، ويمارس الآغا ومستشار الديوان وعند تقاعده يمكنه ممارسة القضاء[2].

كما أن الخدمة العسكرية للمجند تدوم 10 سنوات ثم يختار البقاء بالجزائر أو العودة إلى موطنه الأصلي بنفس الطريقة التي أتى بها سابقا أي عن طريق وكيل الجزائر بموطنه، والذي يتكفل بإعادته مع إعطائه شهادة من الدولة الجزائرية بأنه

1 - جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 27.

2 - دلباز محمد، المرجع السابق، ص 68.

سرح من الخدمة، وتكتفي الدولة بمنحه بعض الهدايا، أما الذي يبقى بالجزائر فإنه يحتفظ براتبه[1].

ب- مرتبات الجنود :

لقد كانت رواتب الأوجاق تتكون من النقود والعين في آن واحد، وكل رجل يتسلم أربع خبزات (وزن رطلين) يوميا بالإضافة إلى زيت الطبخ واللحم ويدفع مقابل ذلك ثلث السعر الشائع في السوق، وكانت الإضافات من اللباس والسلاح يتجهز بها أيضا مقابل تكاليف منخفضة[2]، وكانت المبالغ التي تنفق على الجند تمثل جانبا هاما من الأموال التي تتطلبها نفقات الدولة، وهي إما أجورا شهرية أو منحا ومكافئات طارئة، فالأجور الشهرية تنفق على الجند كل شهرين قمريين وتعرف بالجرايات الصغرى لأنها تخص قسما من الجند فقط أي أولئك المتواجدين في مدينة الجزائر، بينما بقية الجيش الموزع على الحاميات في أنحاء الإيالة يعين له موعد سنوي يقبض فيه جرايته، وهذه المناسبة السنوية تعرف بالجرايات الكبرى[3]، تبدأ الأجرة النقدية بأربع عشرة موزونة وهي 40 صولديا تقريبا[4]، وكانت الأجرة تتضاعف تدريجيا فمثلا عند قيام الجندي البسيط بقتل مسيحي يأخذ مكافئة، وتتضاعف الأجرة بارتفاع عدد القتلى في الحرب[5].

ولقد كان الأتراك والكراغلة المقيمين بالجزائر يحصلون على مرتباتهم سواء كانوا مسجلين ضمن صفوف الانكشارية أو غير مسجلين، ويقدر أقل أجر حسب تشريفات ديفولوكس بـ : 14 صايمة (1 صايمة = 0.18 فرنك تقريبا) أما أعلى أجر فيقدر بـ : 160 صايمة، أما شو (SHAW) فقدرها أقل أجر بـ : 275 أقجة أي ما يعادل 4 فرنك و 59 سنتيم وأعلى أجر يساوي 60 ريالا كل شهرين (هلالين)، ويزيد الأجر حسب الأقدمية، وبعد 12 إلى 15 سنة يصل إلى أقصاه " La Paye Serrée " ،

1 - جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 30.
2 - وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 71.
3 - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 135.
4 - دلباز محمد، المرجع السابق، ص 73.
5 - سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 99.

ويكفل الباب العالي عادة بنصف مرتبات الجيش (العلوفات) والنصف الآخر يدفع من مداخيل الإيالة[1]، وتصرف أجور الجند طيلة الأشهر التالية : المحرم، جمادى الأولى، رجب، رمضان، ذو القعدة خلال أيام الأسبوع ماعدا الجمعة، ولقد كان آغا الهلالين يترأس حفل توزيع الجرايات ويتبوأ في هذه المناسبة مقام الداي، وتصرف الجرايات بعد المناداة على الفرق العسكرية حسب نظام دقيق فإن كان أصحاب الأجور ضباطا تدفع لهم المرتبات في قاعة الديوان، وإن كانوا جنودا توزع عليهم الجرايات في القصر[2]، أما الجرايات الكبرى والتي كانت تتم في فصل الربيع وتدوم العملية 40 يوما، وبهذه المناسبة كان يقام حفل خارج مدينة الجزائر، وتنصب خيمة كبيرة تسمى أوطاق ويشرف على عملية توزيع المرتبات الخزناجي وكبار الموظفين في الإيالة[3]، ويمكن لليولداش أن ينيب عنه أحد زملائه لقبض راتبه لستة أشهر أما الأجر الذي يدفع في مارس (بداية الربيع) من كل سنة فكان يفرض حضور المعني بنفسه، وفي حالة غيابه يحرم من الأجر إلا إذا قدم عذرا مقبولا كشدة المرض، ويرسل أصحاب الرواتب من الجنود والموظفين إلى الجزائر لتلقي مرتباتهم ومراجعة وظائفهم رفقة خليفة الباي وترفق معهم قائمة بأسماء أصحاب المرتبات من جنود وأئمة متقاعدين[4].

ولقد كان الانكشاري لا يتسامح في حقوقه مهما كانت الظروف الاقتصادية سيئة، وحتى استطاعت أن توتر العلاقات بين الجزائر والباب العالي أحيانا، إن تأخروا في دفع رواتبهم، ويقومون بالتمردات وهذا ما حصل مع ابراهيم باشا الذي استولى على أموال الجند وانقلب نظام الحكم كليا جراء ذلك[5]، ورغم أن مرتبات الأوجاق كانت صغيرة[6] فإن العوائد التي كانت تقدم لها تكفي لتغطية حاجاته وبالتالي تكوين ثروة عند بعض أفراد

1 – جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 30.

2 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 100.

3 – عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الافريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520–1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، (2014–2015م)، ص 94.

4 – جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 31.

5 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 100.

6 – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 72.

الانكشارية خاصة أصحاب الرتب العالية، حيث يوفر البايلك إضافة إلى الأجرة الخبز مجانا فيتلقى الانكشاري أربع خبزات يوميا، أما الجندي المتزوج فيحرم من ذلك، بالإضافة إلى الأجور والتخفيضات التي يتلقاها الجندي الانكشاري في ظل هذا النظام فإنه يتمتع أيضا بالعديد من الحقوق والامتيازات المادية والأدبية منها[1] :

1. الإعفاء من الضرائب إعفاءا تاما، وحق شراء المواد الغذائية وبسعر أقل من 3/1 من السعر الرسمي.
2. الحق في وجبات يومية مجانية تتكون عادة من الأرز، البرغل وأربع أرغفة من الخبز ثلثه قمح وثلثيه شعير بالإضافة إلى اللحم مرة في الأسبوع.

3. خضوعه لنظام قضائي خاص يحفظ كرامته، فحسب قانون السلطان مراد الأول يجب أن يحاكم الانكشاري محاكمة سرية من طرف ضباط الجيش وعلى رأسهم الآغا، وتتراوح العقوبة بين السجن والجلد والإعدام الذي كان ينفذ سريا في جنح الظلام وترمى الجثة عادة في البحر، إلا أن هذا الاجراء لا يحدث إلا نادرا.

4. حق التقاعد مع احتفاظه بمرتبه كاملا حتى وفاته، وحرية اختيار مكان إقامته، ولم يكن للتقاعد حسب القانون العسكري" عهد الأمان" الصادر بالجزائر (1162هـ/1749م)سن محددة، بل يكون في سن 40 أو 50 أو 60 ، أي بعد أن يمر الجندي بكل الرتب المذكورة آنفا أو إصابته بعجز يعيق مواصلة طريقه، وهنا يعرف الإنكشاري بمعزول الآغا ويؤذن له بالزواج والإقامة خارج الثكنة، وله حرية ممارسة أي نشاط يريده، كما يعود إليه الباشا أحيانا لاستشارته بأمور تخص الجند أحيانا[2].

3/ الأسلحة المستعملة في الجيش:

كان للأتراك في الجزائر امتياز عسكري يتمثل في امتلاك السلاح الناري، وهذا التفوق فيال سلاح الناري وإنشاء الأبراج على الطرق الرئيسية، والإبقاء على الحاميات في البايليكات جعلت في إمكان حكومة الإيالة أن تجمع الضرائب بشكل يكاد يكون منتظما في

1 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 100.

2 – المرجع نفسه، ص 101.

كل أرجاء البلاد، وتجمع الدراسات على أن الألفين إنكشاري الذين أرسلهم السلطان سليم الأول قد زودوا بالبنادق إلى جانب المدافع وأسلحة أخرى [1]، ضف إلى ذلك أن معرفة الجندي بالسلاح زادته هيبة وقوة ويعطى للجندي عند انخراطه في السلك العسكري بذلة عادية وبندقية وطاقان وقليل من البارود، وقطعة من الرصاص يذيبها ويقولبها بنفسه[2] ليصنع منه الكرات وسيف وقليل من البارود [3]، حيث يقول وليام شالر : "الانكشاري الذي يتسلح ويكون مستعدا لخوض معركة يحمل مسدسا أو مسدسين كبيرين في حزامه وتيجانا وخنجرا على صدره وبندقية طويلة على كتفه وجميع هذه الأسلحة مزينة بالزخاريف الشرقية الرفيعة بقدر ما تسمح به ظروفه الخاصة وثروته، وإذا أضفنا بذلته العسكرية إلى كل ما تقدم، يمكننا بحق أن نقارن الإنكشاري بالصبي في ورق اللعب[4]"

كما ذكر ذلك المؤرخ دي نيكولاي حول التجهيز العسكري العام لأغلب جند الإنكشارية يتمثل في سيف وخنجر وفأس صغيرة في حزامهم، ويستخدمون أيضا قربينة يجيدون استعمالها، ويستعمل بعضهم الآخر المزاريق والعترات "معناها رماح قصيرة" و حتى يبدو حسب دي نيكولاي أكثر جبروتا وعنفا على مستوى سحناتهم كانوا يحلقون لحاهم، بمقابل ترك شواربهم تنمو فوق مستوى شفاههم بطول وكثافة وتشوكا، ولقد كانوا يحلقون ما بقي من رأسهم بما في ذلك هاماتهم باستثناء نذيفة صغيرة في قمة الرأس، حيث بهذه السحنة يبدون مفزعين وبشعين حسب رأيه[5].

و من أهم الأسلحة المستعملة لدى الجيش الإنكشاري في الجزائر خلال تلك الفترة:

أ / الأسلحة النارية:

لقد نجح الصناع الأندلسيون في صنع نوع محلي من البنادق وأتقنوا تقنيات تحضير البارود، وحتى بعض العائلات التركية كانت تجيد ذلك خلال القرن 16م، وكانت البنادق من

1 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص 41–42.

2 – حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 82.

3 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 42.

4– وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1815–1824م)، ت وتع وتق اسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص ص 53–54.

5 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 102.

أهم وسائل تفوق الإنكشارية على السكان خاصة خلال القرنين 16 و 17م وكان الجنود يصطفون بطريقة منتظمة لإطلاق النار، وبمساعدة المدافع الصغيرة التي لديهم كانوا يتفوقون على جموع الفرسان الأهلية، أما الأسلحة البيضاء فتتمثل في السيوف والخناجر، وكانت تستعمل أثناء التحام الجنود بصفوف العدو[1].

ب / المدافع:

لقد اهتم العثمانيون بالمدفعية منذ أيامهم الأولى وأنشؤوا فرقة خاصة بالمدفعية طوبجي، والدليل على هذا أنه في عهد بيازيد الثاني بلغ عددهم 1000 رجل وفي عهد سليمان القانوني تشكلت فرقة أخرى من المدفعية الثقيلة[2]، وإن كان الجيش العثماني في بداية تأسيس إيالة الجزائر تشكوا من نقص فادح في أسلحة الثقيلة، ولكن مع كثرة الهجمات على حوض المتوسط، بدأ التفكير بصنع المدافع محليا بالإضافة إلى هدايا الدول الأوروبية والتي كانت تشمل البارود والمدافع[3].

الجيش غير النظامي:

هو جيش احتياطي استعانت به الإيالة الجزائرية من أجل تدعيم قوتها العسكرية من جهة ولكثرة الثورات والتمردات من جهة أخرى، ولهذا شكلت الإيالة هذا الجيش والذي يتكون من الكراغلة وقبائل المخزن:

1-الكراغلة:

وهم أبناء الأتراك والأعلاج من أفراد الأوجاق[4] من نساء محليات أقصوا من المناصب السياسية، كما حرموا من التمتع بنفس الامتيازات، تخوف منهم الأتراك منذ بداية ظهورهم كقوة من حيث أن عددهم أصبح يزيد مع الوقت، ولهذا أصبحوا يشكلون خطرا على الدولة. وهكذا عمل الإنكشاريون منذ البداية إلى الحد من عدد الكراغلة المسموح لهم بالتسجيل في فرقتهم، ثم استصدروا قوانين تمنع صعودهم إلى مراكز القوة أو المسؤولية في الفرقة، وابتداءا من أواخر القرن 16 أخذت جماعة الأتراك العثمانيين خاصة الفرقة الإنكشارية تعزز قوتها

1 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 43.
2 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 102.
3 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 43.
4 – محرز أمين، المرجع السابق، ص 99.

وسلطتها من خلال محاولة إبعاد جماعة الكراغلة والتخوف هنا ذو خلفية سياسية من إمكانية انقلاب الكراغلة عليهم[1]، وظهر صراع خفي بين الأتراك وذريتهم بلغ ذروته سنة 1629م عندما اكتشفت خيوط مؤامرة دبرها الكراغلة للاستيلاء على السلطة، وكذلك تمرد الكراغلة عام1633م[2]، ولم يسمح للكراغلة بالتسجيل في فرق الإنكشارية إلا بعد الوباء الكبير الذي شهدته مدينة الجزائر ما بين سنوات (1648-1650م)[3].

وإن كان الانقلاب قد أثر عليهم سلبيا بحيث تجردوا من كل امتيازاتهم ومنعوا من الدخول إلى سلك الجندية، وهكذا بقي الكراغلة يعيشون في عزلة تامة ولقد تحدث عن ذلك شالر حيث قال: " الكراغلة لا يتمتعون بحقوق أكثر مما يتمتع به الجزائريون، فيما يتعلق بالمناصب في الدولة، لكن يمكنهم الرقي في البحرية، كما يمكنهم الوصول إلى مناصب القائد والباي... كما يتمتعون بامتيازات لا قيمة لها، ولكنهم لا تربطهم أية علاقة بالأتراك، وقد رفضهم العنصر التركي رفضا قاطعا، واعتبرهم من جنس السكان الجزائريين[4] ".

ولقد دخل الأتراك في حلبة الصراع السياسي حيث اعتبرت هذه الطائفة إحدى أدوات النظام التركي لاستغلال الرعية وبالرغم من الارتباط العائلي بالسكان إلا أن نظرة هؤلاء نحو الأهالي تحولت إلى نظرة احتقار في أواخر العهد العثماني، واعترف أتراك الجزائر بحقوق الكراغلة وأشركوهم في تسيير شؤون الإيالة، وهذا بالرغم من محاولات كثيرة للإطاحة بنظامهم فقام الأتراك بطردهم من مدينة الجزائر ورغم سياسة الترضية والتقارب التي انتهجها الأتراك أمر سيء في العلاقة القائمة بين الكراغلة وسكان الجزائر، إلا أن الجزائري أصبح ينظر للكرغلي نظرة لا تختلف عن نظرته للسادة الأتراك الحاكمين[5].

1 - سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 103.

2 - محرز أمين، المرجع السابق، ص ص 99- 100.

3 - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص 80-81.

4 - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 125.

5 - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 84.

2/ قبائل المخزن:

كانت تمثل الجيش الاحتياطي في الجزائر وقد أسست بناءا على النظرية العثمانية التي اعتبرت الخدمة العسكرية من أهم واجبات المسلم[1]، ولقد كانت مطالبة بتوفير الفرسان لتدعيم الحاميات العسكرية المرابطة في مختلف جهات البايلك وتعزيز المحلات العسكرية أثناء خروجها إلى الأرياف لجمع الضرائب، كما أنها كانت تشارك في الحملات التأديبية ضد المتمردين علاوة على مراقبتها للطرقات والنقاط الحساسة عبر البلاد، وكان عدد الفرسان الذين تجندهم كل قبيلة مرتبطا بالكثافة السكانية لكل قبيلة، فكانت الأوطات التابعة لدار السلطان بما فيها قبيلة الزواتنة المشكلة أساسا من الكراغلة والمكلفة بحراسة سهل متيجة من غارات القبائل الجبلية بإمكانها تجنيد في أوقات الحرب 8000 ألاف فارس أما قوات زمول برج بوغني التابعة لقائد سباو فكان بإستطاعتها توفير 300 فارس بينما قدر فرسان مخزن بايلك الغرب في أواخر العهد العثماني ب 6000 فارس وبايلك قسنطينة بإمكانه تجنيد حوالي 856 آلاف فارس ومثله من المشاة[2].

ويمكن تلخيص محطات التمركز الجغرافي لقبائل المخزن من خلال العناصر التالية:

1- حول الأبراج والحصون التي كانت تقيمها الحاميات التركية، ففي هذه الحالة يساعد فرسان المخزن قائد الحامية عند الضرورة، ومن أهم وأشهر القبائل التي كانت تقيم محل هذه الأماكن: هاشم ببرج بوعريريج، وعمراوة ببرج سباو وأم نائل ببرج يسر والخشنة ببرج ثنية بني عائشة[3].

2- بالقرب من الخوانق الجبلية والممرات وعند القناطر والجسور، ومن أهم الممرات التي سكنتها قبائل المخزن ممر سور الغزلان حيث قبيلة عريب، وممر العقبة بين قالمة وقسنطينة وتحرسه دائرة الزناتية، وممر الكنتور بين سطورة وقسنطينة وتحرسه قبيلة أولاد ابراهيم، ومضيق واد مينا وتراقبه قبائل المكاحلية.

---

1 - سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 104.

2 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 168.

3 - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 107.

3- بجوار الأسواق الرئيسية كسوق عين اللوحة بتاهرت ويراقبه مخزن أولاد خليف، وسوق العثمانية غرب قسنطينة.

4- وعند محطات القونان (Konaq)المتواجدة عند نهاية كل مرحلة من المخزن لتكوين محطة للقوافل ومأوى للجيش الإنكشاري المتوجه نحو الجزائر أو مراكز البايلك والحاملة للضرائب الفصلية أو السنوية كما تستخدم لوقف ساعي البريد.

5- وبالقرب من طرق المواصلات الرئيسية والمعرفة بالطرق السلطانية التي كانت تربط مراكز البايلك في مدن قسنطينة والمدية ومعسكر ووهران بمركز السلطة في الجزائر، فالطريق السلطاني الرابط بين الجزائر وكل من مدينتي وهران ومعسكر نجد العديد من القبائل المخزنية المستقرة حوله من الشرق نحو الغرب هي كما يلي : مخزن بوحلوان بمليانة ومخزن أولاد الصحاري ومخزن بني يحي وزمالة البغدادي، ثم مجموعات الدوابر والزمالة المنتشرة في كافة الإقليم الوهراني.

6- أما الطريق السلطاني الرابط بين الجزائر وقسنطينة فنجد القبائل المخزنية التالية: مخزن الزواتنة، مخزن حرشاوة ومخزن الغريب،هاشم، العثمانية، والصحراوية بنواحي قسنطينة[1].

ومن الإمتيازات التي منحت لهاته القبائل هي كالتالي:

- الإعفاء من مختلف أعمال السخرة المعروفة على قبائل الرعية" خدمة أراضي البايلك "
- الإعفاء من الضرائب والإكتفاء بدفع واجب الزكاة والعشور.
- منح فرسان المخزن الخيول والسلاح ودفع مرتبات مؤقتة مثلما كانت تعرف للجند الإنكشاري.
- كما تمنح لهم إقطاعات زراعية في حالة مشاركتهم في الحملات العسكرية ويرجع الفضل لقبائل المخزن في فرض الأمن الداخلي للإيالة من خلال قيامها بإخماد أي ثورة أو عصيان ضد الحكم التركي في الجزائر وأبرزها ثورة إبن الأحرش التي نشبت عام 1775م، كما استطاعت الإيالة من خلال هذه الفرقة تعزيز نظامها الحربي[2].

1 - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 87.

2 - سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 106.

ثانيا : الجيش البحري

1/ نشأة البحرية الجزائرية:

تميزت الظروف الدولية التي عرفت فيها البحرية الجزائرية نشاطا ملحوظا بتزايد قوة الدول الأوروبية وباختلال التوازن لصالح العالم المسحي، فبعد مرحلة التفوق الحضاري الإسلامي التي انتهت في القرن 11 م، وبعد فترة من توازن القوى بين عالمي الإسلام والمسيحية طيلة القرون الثلاثة التالية (12-13-14م) وبدأت أوروبا تعرف تطورا اقتصاديا متسارعا ونهضة علمية متطورة وتزايدا ديمغرافيا كبيرا على عكس الجزائر التي كانت تعرف في هذه الفترة خمولا فكريا وأوضاع اقتصادية متدهورة ولم يجد من نتائجه السلبية سوى ظهور الدولة العثمانية التي أخرجت الجزائر من هذا الطور وقيام دولة الجزائر في نطاق هذه الدولة الإسلامية بمهمة الدفاع عن الإسلام في الحوض الغربي للبحر المتوسط[1].

ولقد تكونت النواة الأولى للبحرية الجزائرية من الذين جاء بهم الإخوة بربروس من بحارة وسفن من المشرق، وبعد أن ألحقوا هؤلاء الإخوة الجزائر بالدولة العثمانية، وأصبحت إحدى إيالاتها فتفرغوا لبناء الأسطول حيث اهتموا كثيرا بتنمية وتطوير هذه النواة من الناحيتين المادية والبشرية، إن كان هذا الإهتمام الكبير بهذه القوة العسكرية راجع إلى الخطر الذي كان يحدق بالجزائر خلال هذه الفترة بالذات وخاصة مع بروز الإخوة بربروسا وظهور إيالة الجزائر كقوة مسيطرة على البحر المتوسط[2].

وتعود قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني لأسباب تذكر منها:

1- موقع الجزائر وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا والمتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد 1200 كلم[3].

1 - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص 191.

2 - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)،ط1، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص ص 320-321.

3 - سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 106.

2- الظروف الدولية الملائمة والمتمثلة في التنافس بين الدول الأوروبية وما انجر عن ذلك من صراع وتوترات، مثل العداوة بين فرنسوا الأول ملك فرنسا والإمبراطور شارلكان" شارل الخامس" عاهل إسبانيا وجرمانية وغيرها.

3- التسامح والترحاب اللذان كان يلقاهما البحارة الأوربيون الراغبون في العمل بالبحرية الجزائرية والمعروفون وهذا ما سمح لكثير منهم بتبوء مترلة مرموقة عالية بعد إعتناقهم الإسلام أمثال علج (Renégats) بالأعلاج علي.

4- الاستعداد النفسي والإيمان بحق الدفاع عن حرمة الإسلام بعد انهيار الأندلس وحلول الإسبان بالسواحل وأن كانت راية الإسلام حاضرة منذ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية.

5- استخدام البحارة الجزائريون الأساليب الحربية الملائمة مثل الالتجاء إلى الغارات المفاجئة واستعمال بنادق البارود السريعة الطلقات والمدافع الخفيفة في هجوماتهم، كذلك امتلاكهم السفن المتطورة والقادرة على الأبحار في أعالي البحار المعروفة بالسفن المستديرة وهي سفن شراعية حربية أدخل صناعتها إلى الجزائر المارق **سيمون دانسا**، فضلا عن تمكنهم من صناعة الأنواع الأخرى من السفن الصالحة للغارات البحرية المحدودة المدى بالبحر المتوسط، مثل السفن المعروفة بالكرفات والشالوب والقاليوطة والفرقاطة والشباك والبلاكر والبريك.

6- مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية ومقدرتهم القتالية العالية التي مكنتهم من تحقيق انتصارات حاسمة، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال، الأخوين بربروسة (عروج وخير الدين) ودرغوت باشا وصالح رايس[1].

وهكذا فقد ساعدت هذه الأسباب النفسية والمادية إيالة الجزائر على أن تكون سيدة البحر المتوسط وطيلة ثلاثة قرون وإن عرفت أحيانا تذبذبات إلا أنها استطاعت بفضل هذه القوة البحرية أن تفرض نفسها كإيالة وإن استطعنا القول كدولة، ضف إلى ذلك استعدادها الدائم لصد الهجومات الأوروبية من جهة وتحرير الدول الإسلامية من جهة أخرى المغرب الإسلامي[2].

1 - ناصر الدين سعيدوني، ورقات ...، المرجع السابق، ص 190.

2 - سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 107.

2/ تعريفها:

اختلفت تعريفاتها بين المصادر العربية والمصادر الغربية، عرفها العرب على أنها من البحارة الذين يعيشون على الجهاد البحري أما الغربيون فاعتبروها قراصنة، كما اعتبروا مدينة الجزائر حجر اللصوص وعش الصعاليك، وتقول كورين شوفاليه في كتابه الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر" إن القرصنة هي حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب...إذا بالنسبة للمسلمين فإن القرصنة قبل كل شيء هي شكل من أشكال الجهاد في الحرب" إلا أنها أصبحت فيها بعد في الجزائر مؤسسة اجتماعية ومنظمة بواسطة الحكومة القانونية التي حافظت على وجودها ثلاثة قرون[1].

كما تحدث محفوظ قداش بهذا الخصوص حيث قال : " هي ظاهرة اشتركت فيها جميع البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وليست ظاهرة خاصة بالجزائر، وإذا كانت الجزائر قد اشتهرت بأعمال القرصنة فذلك لأن السفن الجزائرية كانت أسرع وأنشط من غيرها ولأنها كثيرا ما كان النصر حليفها، وإذا كانت مصارعة السفن في البحر نوعا من العراك والقتال في البحر قبل به المسلمون والمسيحيون معا وهو شيء يدعوا للأسف من وجهة نظر أخلاقية حيث تحول هذا الصراع فيما بعد إلى عمليات للنهب والسلب[2]، علما بأن إيالة الجزائر وبفضل هذه الطائفة فرضت سيطرتها على المتوسط وعملت على مجابهة الحملات الأوروبية الموجهة ضد دول المغرب الإسلامي ضف إلى ذلك بغيتها الدائمة في رفع راية الإسلام والمسلمين.

ولقد عرفها مولاي بلحميسي حيث قال: "أن القرصنة عند الإخوة بربروس أخذت طابعا إنسانيا قائم على الجهاد ضد الصليبيين لإنقاذ مسلمي الأندلس بإسبانيا، ولقد عرف القرصان على أنه يسعى في البحار لحسابه الخاص وهو لص مسلح، أما البحار القرصان فهو مقاتل

1 – كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510–1541م)، ت جمال حمادنة، د.م.ج، 1991م، ص 55.

2 – محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني، تر بن البار امحمد، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م، ص 12.

نظامي قناص في البحر يهاجم أعداء أمته ليحصل منها على نصيب معلوم من الغنائم وعلى سفينته راية بلاده أو علم[1] "

3/ تركيبه:

تميزت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية بتعدد مشاربها يوحدها الجهاد في سبيل الله حيث ضمت خليطا من العناصر المحلية والأعلاج الذين أسلموا، ويضاف إليهم البحارة الذين قدموا من الأندلس والمشرق الأمر الذي أكسب الأسطول قوة متجددة وتقنيات بحرية إضافية[2] ومن أشهر رياس البحر خلال القرن 16 عروج وخير الدين بربروسا، درغوث رايس وعلج علي وهؤلاء الرجال هم الذين أنشأوا إيالات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وأعطوها أشكالها السياسية والعسكرية، ومن الأسباب التي دفعت بالمسيحيين إلى اختيار مدينة الجزائر ملاذا للعيش واعتناق الدين الإسلامي بها، ومن ثم ممارسة الجهاد البحري والانخراط في صفوفه، وهذا لأن الكثير من هؤلاء الأعلاج كانوا فقراء ومحرومين في بلدانهم الارتقاء من القهر والتعسف مما جعلتهم يستفيدون من مداخيل حركة الجهاد، وأيضا الطمع في الارتفاع إلى أعلى المراتب السلم الاجتماعي، إذا علمنا بأن المؤسسة العسكرية في الجزائر كانت تضمن لهؤلاء تحقيق أحلامهم وبالرغم من أنهم كانوا مجتمعا خليطا إلا أن هدفهم كان واحدا، والدليل على ذلك أعدادهم الكثيرة حيث بلغ عددهم حسب تقرير يعود لجاسوس إسباني 6 آلاف عام 1564 م، أما الأب دان فيجزم بوجود 8 آلاف سنة 1632 م[3]، ولم يكن رجال الطائفة رياس بحارة عاديين باعتراف الكتاب الأجانب أنفسهم بحيث أدهشتهم حنكتهم وشجاعتهم، وهذا ما ذكره **هايدو** على أن رجال البحرية الجزائرية كانوا يجولون البحار من الفجر إلى الغروب وخلال الشتاء والربيع دون خوف ويسخرون من السفن المسيحية كأنهم يخرجون إلى صيد الأرانب[4].

---

1 – Belhamissi Moulay, Les Captifs Algeriennes et L'Europe Chretienne de Histoire 1518-1830, Alger, ENAL, p 68.

2 – عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 95.

3 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص 46، 47.

4- Haedo (F), Topographie et Histoire Générale D'Alger, Trad Dr Monnereau et A.Berbrugger, Editions Bouchene, Alger,1998, p 80.

كما أشاد بهم المؤرخون المسلمون، وهذا ما نقله لنا السفير التمقروتي حيث يقول:"... ورياس البحر موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلادهم، فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيبة وأكثر رعبا في قلوب العدو[1]"

ولقد كان الإجراء العادي للبحار أن يختاره مالكو السفن التي يستعملونها في معاركهم، ولكن قبل أن يعينه كقبطان كان عليه أن يجتاز بنجاح امتحان يجريه عليه ديوان الرياس، ومن الضروري أن يكون على معرفة ببعض القواعد النظرية لفن الملاحة كمعرفة حركة النجوم وقراءة البوصلة واتجاهات الرياح وفهم الخرائط الملاحية أو الاهتداء بالجبال عند الحاجة، ولقد كانوا يكتفون بمعرفة الاتجاهات عن طريق النجوم[2].

4/ قادة الأسطول:

1-وكيل الخرج:

كان يشغل منصب وزير البحرية، وقد تحول هذا المنصب منذ القرن 16 من وظيفة المحتسب للمستودعات ومخازن الترسانة البحرية إلى أهم شخصية في لبحرية الجزائرية، وكانت مهامه موزعة على مجالين رئيسيين أولهما الشؤون البحرية حيث يتولى رئاسة دار صناعة السفن وورشة البناء والأملاح وكذلك رئاسة طائفة رياس البحر وتجهيز المراكب البحرية للحرب وبناء السفن الجديدة وإصلاح السفن القديمة المعطوبة، أما ثانيا فلقد كانت من أهم مهامه أيضا متابعة علاقات الجزائر مع الدول الأوروبية "أي وزير الخارجية "ويعمل تحت إدارته 12 بلوكباشيا يسهرون على حراسة المخازن وتموينات الأسطول ويتولى قيادة الأميرال وقبطانات الميناء وقبطانات الحملات والرياس، ويقدم لهم التعليمات كما أنه يقوم بدور المحامي لمصالحهم لدى الداي بخصوص المسائل الحربية، وبفضل البلوكباشيين الذين ينفذون أوامره، تمكن وكيل الخرج من تشديد قبضة على أقوى مؤسسة بحرية في الجزائر خلال العهد العثماني وهي طائفة الرياس[3].

---

1 – مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت، الجزائر، ط2، 1981م، ص 57.

2- Belhamissi (M), Histoire..., op. cit, p72.

3 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 110.

2-القابودان: هو القائد العام للأسطول عند خروجه إلى عرض البحر، وبقطع النظر عن المكانة التي كان يتخللها القبودان في سلك البحرية إلا أنه كثير ما كان يتعرض للمشاكل)

3- قائد المرسى: هو المسؤول على الميناء وشواطئه والمخازن والمراكب الداخلة والخارجة التجارية والحربية، وكان له في الجزائر سفينة خاصة يجوب بها المياه الإقليمية لمدينة الجزائر بتفقد شواطئها ومراقبة السفن التي تدخل أو تخرج منه والتعرف على هويتها وطبيعة مهامها، كما كان يهتم بالأخبار الدولية التي كان يتناقلها أصحاب السفن التي تأتي إلى الجزائر، واستلام الرسائل التي يحملونها إلى الباشا أو أحد وزرائه، ونظرا لتعدد مهامه فإن الباشا كان عادة ما يستقبله في دار الإمارة مرتين لتلقي تقاريره[1].

ولقد كان تحت إمرته المزوار وهو رئيس شرطة الأخلاق العامة ومستخلص ضرائب المومسات، كما كان هناك مجموعة أخرى من الحراس المخازن الخشب والبضائع التجارية ونقط الحراسة كلهم تحت سلطة قائد المرسى يضاف إليهم الأوداباشي، بولكباشي، آغاباشي، الكاهية، الآغا الخزندار، خوجة الخيل وهو متصرف الجمارك، وإن جرت العادة في الشتاء أن ينزع سلاح السفن ويتفرغ البحارة إلى إصلاحها وإعداد التجهيزات المختلفة، أما في الربيع فيشرع الرياس والبحارة للتجارة والصيد والحرب ويتصرف ذلك إلى نهاية فصل الخريف، وربما بتوقف الرياس لفترة وجيزة عن الخروج إلى البحر حيث أنهم ألفوا البحر دائنا أو هادئ وفترة الشتاء طويلة جدا بالنسبة لبحارة اعتادوا على حياة البحر والخوض في أمواجه كما أن التجارة والجهاد في البحر كانت مستمرة طول السنة[2].

4/واردیان باشي: هو بمثابة الناظر العام سجون الأسرى في مدينة الجزائر، وكان من مهامه أيضا الوقوف على استعدادات سفر السفن الموجهة للخروج إلى البحر وتوزيع عدد من المجدفين والملاحين الأسرى على متنها[3]، ولقد كان لطائفة الرياس كأي مؤسسة بحرية طاقم للسفينة وكان يتكون عادة من:

1- **القبطان رايس:** وهو قائد السفينة وقد يكون مالكها أحيانا.

2- **الباش رايس:** وهو نائب قائد السفينة.

---

1 - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 54.

2 - يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص 175.

3 - أمين محرز، المرجع السابق، ص 28.

3- **صوصو رايس:** هو نائب ثاني لقائد السفينة.

4- **رايس العسة أو الورديان:** وهو مفتش المراكب والمشرف على صيانته والعناية به.

5- **باش طبجي:** وهو ضابط المدفعية في المراكب يشرف على صيانة المدافع واستعمالها في الحرب.

6- **باش دومانجي:** وهو ضابط الأشرعة في المركب يشرف على كيفية استعمالها.

7- **الخوجة** : وهو كاتب السفينة ويعمل كمحاسب وموثق إذ يسجل المداخيل ومصاريف السفينة في دفتر خاص ويجرد الغنائم.

8- **الخزناجي:** هو محافظ خزينة الذخيرة الحربية والأموال اللازمة للصرف والأغذية

9- **باش جراح:** هو الطبيب الجراح الذي يرافق المركب لمعالجة المرضى والمعطوبين خلال السفر والمعارك.

10- **باش الطريق** : وهو رئيس فرقة الإنكشاريين المرافقين للمركب ومهمته الإشراف على المجدفين والهجوم على مراكب الأعداء خلال المعارك والمواجهات.

11- **الآغا** : لا ندري رتبته ولكنه ضابط ذو رتبة عالية على كل حال.

12- **الإمام** : ومهمته تلاوة القران الكريم، إمامة البحارة في الصلاة والدعاء لهم بالربح خلال المعارك، وهذا يدل على إرتباط البحارة بالدين الإسلامي.

13- **قلفاط:** مسؤول على دهن المراكب بالقطران حتى لا تتشقق ولا تتكسر فتدخل إليه المياه.

14- **الصندال ريس:** هو المسؤول على معدات القارب أو السفينة[1].

5/ مقوماته:

أ/السفن:

اختلفت وتعددت المراكب والسفن في الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني تبعا للظروف والتطورات التي عرفتها البلاد، البعض منها محليا أي كانت تصنع في الجزائر والبعض يشترى من الخارج أو يحصلون عليها عن طريق الغزو والبعض الآخر يقدمها لها الدول

1 - يحي بوعزيز، الموجز ....، المرجع السابق، ص 150.

الأوروبية والأمريكية في شكل هدايا وإتاوات، وأحيانا من الدولة العثمانية كهدايا خالصة، وأنواع السفن التي كانت في ذلك العصر وهي كما يلي:

1/ **القاليز (La Calere)** : هي الأكثر عددا في الأسطول طولها 50 مترا وحمولتها متوسطة وسرعتها خفيفة وتحتوي على 25 إلى 26 مصطبة، كل منها يجلس عليه من 2 إلى 8 أشخاص.

2/ **الغليوطة (La Galiote)** : هي أصغر من القاليرة وتحتوي على 14 إلى 25 مصطبة وبحارتها من 10 إلى 30 رجلا وهي تصنع محليا، شاعت عند الهولنديين في القرن 18م[1] .

3/ الغليون (La Galione) : هو مركب حربي شاع خلال القرون الثلاث 16 م و17 م و 18 م استعمله الإسبان في نقل الذهب والفضة من مستعمراتهم بأمريكا اللاتينية.

4/ القولييت (La Golette) : وتدعى السكونة وهي مركب صغيرة ذو مجاديف ويسير بالأشرعة.

5/ الطريدة (La Tarida) : وهي نوع من القاليرة لكنها سريعة أكثر منها وتستعمل للشحن والنقل.

6/ الفوسة (La Fuste) : مركب سريع الحركة مزدوج يسير بالأشرعة والمجاديف تحتوي على 12 إلى 14 مصطبة.

7/ البرقاتين (La Brigantin) : تصنع محليا بشرشال وتستعمل لمهاجمة سواحل الاعداء ويسير بالمجاديف.

8/ الفرقاطة (La Fregatte) : وهي وحدة حربية ذات حمولة أكثر من الكورفيت.

9/ الكورفيت: وتدعى الحراقة وهي مركل حربي صغير له صاريان وحمولتها متوسطة بين الفرقاطة والبريك[2].

10/البريك: مركب صغير الحجم له مجدفان وشرعان مربعان.

11/البريك قولييت: وهو مركب بالأشرعة سريع الحركة له صاريان.

---

1 – – يحي بوعزيز، الموجز ...، المرجع السابق، ص147.

2 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 112.

12/الكرافيل: مركب صغير الحجم شاع استعمالها خلال القرنين 15 م و 16 م.

13/ البولاكر (La Polacre) : مركب ذو ثلاثة مجاديف وبشراع واحد .

14/ الشطية أو الشاطية: مركب صغير، وهي طويلة وسريعة ولها أشرعة عريضة ومكيفة للإبحار قرب السواحل[1].

15/العشارية: مركب صغير

16/ الغراب: يسير بالمجاديف فقط وبه 24 مجدافا كل واحد عليه 4 رجال لدفعه وهو كبير الحجم.

17/الشالوب: فالوكة وزورق صغير ،وهناك أنواع اخرى من السفن مثل النجور واللينقشون والبلاندرة[2].

وكان يستعمل البحارة الجزائريون المجداف أكثر من الشراع وإن استعملت فهي صغيرة، وهذا ما ذكره كورين شوفالييه حين قال: " إن أشرعة البحارة الجزائريون تكون كلها صغيرة السعة وتعتمد على السرعة وضعف تسليحها"، ولقد كانوا يمشون دائما بالمجداف ولا يرفعون أشرعة سفنهم أبدا وذلك حتى لا يراهم أحد من بعيد، وكما يقولون يقطعون الريح في أذرع المسيحيين، ولا تهمهم الريح القوية أو الساكنة، ولا يستخدمون الشراع في طريق عودتهم وأثناء تجوالهم في إنتظار فريستهم[3].

وخلال القرن السادس عشر كان يتكون الأسطول البحري الجزائري سفن من نوع الفرقاطات والعشاريات والغليوطات والجنان، أما مع نهاية القرن السابع عشر فكانت تستعمل السفن من نوع البرتون والسفن المستديرة والمدفوعة بالشراع والتي تم تطويرها بأوربا منذ عام 1600 م، وقد عرفت الجزائر هذا النوع من السفن بفضل المهاجرين الأندلسيين الموريسكيين الذين تم طردهم من طرف ملك إسبانيا فيليب الثالث سنة 1609 م[4].

أما خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر فتقدم لنا الأرشيفات القنصلية الفرنسية قائمة كاملة عن أنواع السفن المستخدمة بالجزائر منذ 1737 م حتى 1830 م والمتمثلة في

---

1 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 62.

2 –يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص 148.

3 – كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 56.

4 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 114.

الشظيات والصنادل والشنيات ونصف الشنيات والأغربة والفرقاطات والغليوطات والشالوب والبولاكر.

ومما يجدر الذكر به فإن الأوربيين كانوا يسمون السفن الجزائرية من خلال الرسومات المتواجدة في خلفية المراكب كالأسد الأبيض والزهرة الذهبية والغرابة الكبيرة والهلال والبرتقالة الذهبية والتنين ذو سبعة رؤوس والحصان الأبيض[1]، كما أن هناك سفن منسوبة إلى ضباطها مثل الأورشيل للرايس الحاج والأهرام للحاج محمد والرايس أحمد عامر[2].

ب /الترسانة:

1/مراكز صناعة السفن : مع بداية القرن السادس عشر أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن تمكنها من صنع السفن من نوع الغليوطات ذات 22 مقعدا للتجديف، وبمرور الوقت أصبحت المراكب والزوارق وغيرها من السفن تصنع في المراسي الجزائرية، ولقد اتخذوا من هذه الموانئ كقواعد للأسطول الحديث والذي سيلعب دورا هاما في معظم الأحداث والتطورات التي ستجرى بالبحر المتوسط طيلة الحكم العثماني بالجزائر، ومن أهم الترسانات في الجزائر ما يلي:

ميناء خير الدين: موجود في مدينة الجزائر ويحتوي على دار لصناعة المراكب الكبرى لإصلاح المراكب المعطوبة أو التي يأخذها البحارة كغنائم فتصلح وتطبع بمميزات خاصة بالأسطول الجزائري قبل أن تعود للبحر، كما كانت بها دار النحاس"دار الأسلحة "لأن معظم المدافع الجزائرية كانت تصنع من معدن البرونز.

ترسانة باب الواد: تصنع بها المراكب الكبيرة.

ترسانة باب عزون: تصنع بها المراكب الأقل حجما وهي عبارة عن حوض مستدير الشكل يصل قطره إلى حوالي 80 قدما ويبعد عن الرصيف بحوالي 300 قدم.

وهناك ترسانة أخرى داخل الميناء بجوار رصيف السفن والمقابلة لباب الواد ولقد كانت في بادئ الأمر عبارة عن شاطئ صغير حول فيما بعد إلى ترسانة لصنع السفن الكبيرة.

---

1 –حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص 56، 60.

2 –Belhamissi (M), Histoire…, op.cit, p 56.

ترسانة شرشال: قريبة من مدينة الجزائر، تبنى فيها السفن من نوع فرقاطة والبرغانطي ذات 8إلى 13 مقعدا والتي كان يجهزها الموريسكيون[1].

ميناء الأزقاق : المجاور لساحل مدينة عنابة وكانت الترسانة الموجودة به أقل أهمية من ترسانة الجزائر بحيث لا تصنع فيها سوى السفن البسيطة من نوع الشبق وهو مركب مزدوج ويسير بالأشرعة والمجاديف، والمسطحات وبعض القوارب التجارية، ولم يتوقف إنشاء السفن بالجزائر حتى أيام التقهقر، أما بالنسبة للمواد الأولية التي تستعمل لصناعة السفن فقد كانت الأخشاب تنقل إلى ترسانة الجزائر من نواحي شرشال إلى أن نفذت في أواسط القرن 17 ثم تعويضها بأخشاب غابات بجاية[2]، ولقد كان الخشب الذي يصنع منه السفن يجلب إلى مدينة الجزائر من شرشال وبجاية وغيرها من الموانئ الصغيرة في شمال إفريقية حيث يتوفر الخشب، أما الأدوات الأخرى مثل الأشرعة والحبال والطلاء والقطران وغيرها من الضروريات فقد كانت تأتي من أماكن عديدة...

كما تلقت الجزائر مساعدات عسكرية مهداة من طرف الدولة العثمانية وتتمثل في كميات كبيرة من النحاس والخشب وغيرها عام 1784م[3].

ج/أنواع أسلحة الجيش البحري:

1/المدافع : جهزت المراكب البحرية بمدافع مختلفة منها البسيطة ومنها المركبة وأهم أنواع هاته المدافع هي مدافع لرمي الحجارة أو المهاريس وهي كبيرة الحجم وقصيرة مازال نموذجان منها بمتحف الأنفليد بفرنسا، ومنها المدافع التي ترمي القنابل المحرقة وهي شبيهة بالمهاريس، وهناك نوع آخر من المدافع وهو مدفع رمي الكور وهي طويلة وضيقة منها البازية، وترمي قنابل من الرصاص ومنها الثعبانية وهي طويلة يتراوح طول هذه المدافع بين ستة (6) وسبعة (7) أمتار.

وكثرة المدافع رمز قوة الأسطول الجزائري وهيبته خلال الحروب، وهذا ما ذكره كورين شوفاليه حيث قال..."وزيادة على ذلك فإن المدافع كانت موجودة متراصة الواحد جانب الآخر بحيث لا يبقى مكانا كافيا لتحريك هذه المدافع إلى الخلف[1] ".

---

1 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 115.

2 – عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 100.

3 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 77.

2/**البنادق** : هي من أهم الأسلحة التي اعتمد عليها البحارة الجزائريون، وهي أنواع طورها الموريسكيون فيما بعد ومنها الموسكية أو البندقية، وتمتاز هذه البنادق بزخارفها وتطعيمها بالمرجان والعاج وتحليتها بالذهب والفضة ولهذا نجد أن كل بندقية تعبر عن مكان وجاه مالكها وهناك نوع مصغر للبنادق وهو المسدسات أو الغدارات التي منها عدد كبير في المناطق الجزائرية والعالمية كفرنسا، تركيا، تونس، إسبانيا وغيرهم، أما الأسلحة البيضاء فهناك السيف والمزاريق، الخنجر والتي كان نصلها من الحديد الصلب، أما المقبض والكلبان والغمد فكانت محلاة من الذهب والفضة[2].

د/مظاهر قوة الأسطول:

اتخذت مسألة الأسرى الحظ الأنسب والوفير من كتاب المؤرخين الغربيين، واتخذوها ذريعة من أجل محاربة السياسة التي ينتهجها الحكام العثمانيين في الجزائر ضد الأسرى المسيحيون الموجودين بالإيالة، ومنذ النصف الثاني من القرن 16 م تطورت كثيرا عملية الفداء وهذا راجع إلى نشاط البحرية الجزائرية وتطورها خلال هذه الفترة.

لقد كان بيع وتوزيع الأسرى يشكل القسم الأكبر من مدخول الجزائر فالمصادر الأوروبية تشير إليهم بأنهم كانوا عبيدا أو أرقاء في كامل الأراضي العثمانية، بينما تعتبرهم الجزائر أسرى حرب، ولهذا فإن الأسرى الذين لا يختارهم الداي للعمل كحراس أو خدم ولا يشتريهم الباعة ويصبحون ملكا للدولة فيستعملون للخدمة في الحجارة عبر طرق الايالة وفي ضيعات الدولة أو في دار الصناعة بالجزائر وورشة بناء السفن، وقد كانت فترة القمة في الحصول على الأسرى في بداية القرن 16 م، وإن كان الأسرى البضاعة الرائجة الأكثر قيمة[3].

ونظرا للحروب الدائمة بين الجزائر والدول الأوروبية فلقد وقع في الأسر الآلاف من الطرفين، وتمكن البحارة الجزائريون من أسر آلاف من الرجال والنساء والأطفال ومئات المراكب البحرية مختلفة الأنواع والأشكال والأحجام، حيث عقدت الجزائر أكثر من 60 معاهدة سلام وصداقة مع الدول الأوروبية وخاصة فرنسا وهذا خلال القرن 19 م فيما يخص إفتداء الأسرى ولقد كان الواجب الأساسي للأسرى للقناصل الأوروبيين هو الإفتداء المباشر

1 – كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 57.

2 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص ص 116.

3 – كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 60.

للأسرى أو التدخل لدى السلطات الجزائرية نيابة عن المقبوضين عليهم من أبناء وطنهم ويتم اعتماد ووسطاء أوروبيين من الدبلوماسيين غالبا ما يكونون من الفرنسيين أو من رجال الدين الإسبان المسموح لهم بالقيام بأعباء المستشفى التابع لبلادهم بمدينة الجزائر، وهي المؤسسة الوحيدة ذات الطابع الاجتماعي الإنساني المهتمة بشؤون الأسرى الإسبان، وقد كان القنصل الفرنسي بالجزائر، هو الحامي الغير رسمي لهؤلاء القساوسة المختصين في عملية الفداء، وكانت هناك ثلاث مجموعات مسيحية من خصائصها عمليات الافتداء وهي جماعة الثالوث المقدس التي كانت تشرف على أهم عمليات الإفتداء بالجزائر، ففي سنة 1789 م كان لها حوالي 250 فرعا منتشرا في البرتغال وإسبانيا وإيطاليا ومجموعة المرسدير Mercedaire وجماعة أباء الرحمة "الفرنسيسكان"[1].

أما عن تعداد الأسرى الأوربيين الموجودين في الجزائر فلقد أحصاها ووضعوا التقديرات حولها هم الغربيون وان بالغوا فيها، ولا يوجد في الأرشيف المحلي ما ينفي أو يؤكد تلك الأرقام[2]، هذا وقد كان عدد الأسرى يختلف من سنة إلى أخرى حسبما يتضح من الجدول التالي المستخرج من المصادر الأوربية، والذي يقدم تقديرات إجمالية خاصة بمدينة الجزائر حسب السنوات التالية:

قائمة تعداد الأسرى[3]:

السنة	عدد الأسرى
1580م	25000 أسير
1620م	35000 أسير
1634م	25000 أسير
1630-1634م	أثناء الحرب مع ملك فرنسا أسر من على ظهر السفن الفرنسية أسير

1 – سحابات زهيرة ، المرجع السابق، ص 118.

2 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 64.

3 – ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص 195.

1662م	21000 أسير
1724م	2000 أسير
1785م	6000 أسير كانوا يوجدون في سجون علي بوتشين دون تعداد الأسرى الآخرين
1788م	2000 أسير
1816م	1642 أسير (هدنة سنة 1810م ثم معاهدة 1813م مع البرتغال تم فيها فداء 541 أسيرا برتغاليا مقابل 85000 دورو جزائري)
1830م	122 أسير

والملاحظ في هذا الجدول أن عدد الأسرى مع نهاية القرن السادس عشر بدأ في الارتفاع وهذا راجع إلى قوة وبراعة رياس البحر في تلك الفترة، ولقد وصل عام 1620 م إلى 35000أسير، وهذا الرقم ليس هينا، وبقي العدد تقريبا كما هو طيلة القرن السابع عشر ،ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بدأ عدد الأسرى يتضاءل نظرا لارتباط الجزائر مع الدول الأوربية بالمعاهدات التي تقضي بعدم التعرض لسفنها مقابل دفع الأموال مثال ذلك المعاهدة مع البرتغال هذا من جهة، ولضعف البحرية الجزائرية من جهة أخرى.

وفيما يخص حالة المعيشة فإن التقارير الأوربية صورت أحوال الأسرى الأوربيين بالجزائر واصفين إياها بالصعبة والمتعبة، ولكن يغلب على مضامينها المبالغة[1]، أما كورين شوفالييه فيقول أن حياتهم وبشكل عام يعيشون جيدا فكل اهتمام سكان الجزائر هو أن لا تتضرر أملاكهم وأن لا تتعرض للتلف والهلاك[2].

1 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 67.

2 – كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 63.

2/الغنائم البحرية:

تعتبر الغنائم مصدرا هاما للخزينة حيث كانت تأتي من ثلاث مصادر أساسية منها حمولات السفن بالغنائم التي تؤخذ من البحر، والجزيات والإتاوات ومبالغ افتداء[1]، ولقد تكاثرت في الفترة الأولى للعهد العثماني ثم أخذت في التناقص حتى كادت تتلاشى خلال القرن 18 م، إلا أنه مع نهاية العهد العثماني عرفت نموا ملحوظا مع محاولة تطوير البحرية وزيادة نشاطها الحربي.

وإن كانت غنائم الجهاد البحري مورد الرزق ومصدرا مهما للثروة، وعاملا حاسما في تنشيط الاقتصاد الجزائري، فقد كانت مهنة مربحة في نظر كثير من المؤرخين المحدثين تنال من غنائمها حصة تتراوح بين السبع والعشر، وتحظى ب 12 بالمائة من أسعار السفن المحتجزة، وتضع تحت تصرفها كل الأسلحة المصادرة في عمليات القرصنة باعتبارها غنائم حرب مشروعة كما أنها تنال قسطا وافرا من المبالغ التي تدفع لافتداء الأسرى الأوربيين، وفي هذا السياق فإن إسبانيا وحدها كانت تدفع سنويا مال قيمته 60 ألف قرش لافتداء أسراها البالغ عددهم ما بين 200 و 300 أسير[2].

ولقد قدر العالم دان «Dan » عام 1634م قيمة البضائع التي اكتسبها الجزائريون في البحرية مطلع القرن 17م بمبلغ 20 مليون فرنك، وقدر القنصل الفرنسي تشو «Chaux» الخسائر الفرنسية في الشهور الأولى من عام 1616 م بمبلغ 1800000 ريالا.

ويمكن أن نتعرف على تطور الغنائم البحرية التي كانت تأخذ منها الدولة الخمس (البنجق) ويوزع الباقي (الفيء) على أصحاب السفن المساهمين في تجهيز الأسطول باستعراض عدد الغنائم حسب السنوات التالية :

1628-1634م = تم الاستيلاء أثناء الحرب ضد فرنسا على 80 سفينة أسر بها 1331 شخصا، مما جعل قيمة مجمل الغنائم في تلك الحرب ترتفع إلى حوالي 4752000 جنيه.

1 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 119.

2– حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 68.

1737-1799م = استولى البحارة الجزائريون على 376 سفينة، منها 16 سفينة برتغالية أسرها الرايس حميدو عام 1797 م، بها 118 أسيرا، وفي سنة 1785 م أسرت بعض السفن الجنوية والبندقية والنابوليتانية، قدرت قيمة غنائمها بخمسة وسبعين مليون فرنك.

1800-1802م = قدر عدد الغنائم ب 575152 فرنكا، وتم الاستيلاء على 20 غنيمة، منها 19 نابوليتانية بالإضافة إلى سفينة برتغالية أخرى استولى عليها الرايس حميدو مجهزة ب 44 مدفعا، ويقدر ثمنها ب 19423125 فرنكا[1].

1805-1815م= قدرت قيمة الغنائم ب8 ملايين فرنك منها 1800 أسير و 30 سفينة.

1825م = بلغ عدد الغنائم ثمانية سفن، أغلبها هولندية وإسبانية وإنكليزية قدرت بحوالي 77041575فرنكا.

1817-1827م = قيمة الغنائم 700000 فرنك.

وتذهب بعض الروايات الأوربية إلى حد القول أن الغنائم هي الأساس في تكوين الخزينة الجزائرية كما هو الشأن عند السيد غوراي «Guerey» صاحب المؤلف المتعلق بالخزينة الجزائرية في سنة 1791 م[2].

3/ الإتاوات والهدايا:

مع دخول العثمانيين إلى الجزائر برزت هذه الأخيرة كقوة بحرية مسيطرة بفضل أسطولها القوي، ولهذا فرضت الإيالة الجزائرية على الدول الأوربية المتعاملة معها تجاريا إتاوات مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض المتوسط وإعطاء تجار تلك الدول امتيازات خاصة، منها تخفيضات على الرسوم الجمركية، وهذا ما ينفي صفة اللصوصية والقرصنة أو الاعتداء على حرية التجارة العالمية عن البحرية الجزائرية والتي حاول الأوربيون إلصاقها بالبحارة الجزائريين لتبرير تحرشاتهم والتمهيد لاعتداءاتهم[3].

ومما يجدر الحديث عنه أن هذه الإتاوات كانت تختلف حسب العلاقة التي تربط تلك الدول بالجزائر، كما كان للظروف السائدة في تلك الفترة، تأثير على تحديد مبالغ تلك الإتاوات، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص ص 196،197.

2 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 71.

3 – يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص 202.

1-إسبانيا : كانت تساهم بما قيمته 48000 فرنك، سنة 1807 م وبعد توقيعها على هدنة 1785م وانسحابها من وهران ألزمت بدفع 18000 فرنك.

2-توسكانيا: ألزمت قبل سنة 1823 م بدفع مال قيمته 25000 دوبل أو 250000 فرنك.

3-البرتغال: كانت ملزمة بدفع مال قيمته 20000 فرنك عام 1822 م.

4-سردينيا: أرغمت على دفع 216000 فرنك، اثر معاهدة 1746 م.

5-فرنسا: كانت تدفع قبل سنة 1790 م مال قيمته 37000 جنيه، وبعد سنة 1790 م تعهدت بدفع 27000 قرش، أي 108000 فرنك، وفي سنة 1816 م ألزمت بدفع مال قيمته 200000 فرنك.

6-إنكلترا: تعهدت في سنة 1807 م بدفع 100000 قرش أو 267500 فرنك، مقابل نيلها بعض الإمتيازات.

7-هولندا: ألتزمت بعد معاهدة 1826 م بدفع 10000 سكة جزائرية، وفي سنة 1807 م دفعت مال قيمته 40000 قرش أو 160000 فرنك.

8-النمسا: قدرت قيمة الإتاوات التي دفعتها في سنة 1807 م ب 200000 فرنك.

9-الولايات المتحدة الأمريكية : دفعت في سنة 1795 م مال قيمته 10000000 دولار، منها 21600 دولار في شكل معدات مقابل الإمتيازات الخاصة ،وفي سنة 1822 م التزمت بدفع 22000 دولار.

10-مملكة نابلي : دفعت في سنة 1816 م إتاوة قدرت ب 24000 دورو فضة.

11-النرويج : دفعت في سنة 1822 م إتاوة قدرت ب 12000 فرنك كل سنتين.

12-الدنمارك : دفعت في سنة 1822 م إتاوة قدرت ب 180000 فرنك كل سنتين.

13-السويد : دفعت في سنة 1822 م إتاوة قدرت ب 120000 فرنك كل سنتين.

14-البندقية: دفعت في سنة 1747 م إتاوة 2200 سكة ذهب سنويا، وفي سنة 1763 أصبحت تقدر قيمة الإتاوات المفروضة عليها ب 50000 ريالا.

هذا وبالإضافة إلى الإتاوات الموظفة على بعض الدول الأخرى والتي يتوجب دفعها في بعض المناسبات وهي تخص دويلات بريمن وهانوفر وبروسيا[1].

1 - ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص ص 197-198.

كما يرى وليام سبنسر أن الضريبة هي مفتاح العلاقات الجزائرية الأوربية، وأن أوربا كانت ملزمة بدفع الجزية لأنها لم تطور سياسة أمن جماعي حقيقي ضد الجزائر، فكانت الجزية المدفوعة بمثابة حماية فردية، وكانت امتياز للقوى الأوربية الصغيرة التي تعتمد في حياتها على التجارة السلمية، وقد طبقت الجزائر في هذا المجال سياستها التقليدية اتجاه أوربا[1]، ولم تعد هذه الهدايا والإتاوات في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر التزامات مالية تساهم بدخل الخزينة بل أصبحت مجرد هدايا دبلوماسية وترضيات مقابل حرية الملاحة ولنيل الامتيازات والاحتكارات التجارية بالمنطقة[2].

1 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 71.

2 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 122.

المبحث الثاني : دور البحرية الجزائرية في تحرير تونس وطرابلس

أولا: تحرير تونس 1574 م :

كان لتونس أهمية باستراتيجية كبيرة بحيث أنها حلقة وصل بين الحوضين الشرقي والغربي، وبين مقر الدولة العثمانية وايالة الجزائر، كما تتحكم في المضيق بينهما وبين صقلية، كما كان لها أهمية أخرى في توطيد الحكم العثماني في الجزائر وفي شمال إفريقيا، وقد أدرك خير الدين أهميتها لاسيما بعد أن عانى من مؤامرات سلطان تونس منذ أن كان بيلربايا، فيما استلم قيادة الأسطول العثماني في سنة 1533م/941هـ، وهذا ما ذكرناه أنفا، وكانت أولى أعماله البارزة هو الإقدام على ضم تونس إلى الدولة العثمانية في سنة941هـ/1534م وتمهيدا لبسط السيادة العثمانية على باقي مناطق شمال إفريقيا[1].

ولقد كانت تونس الحفصية تعرف صراعات من أجل الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة، وهذا ما استدعى سكانها بأن يرسلوا وفدا إلى البايلرباي خير الدين سنة 1532م لنجدتهم[2]، وكانت الفرصة مواتية لأتراك الجزائر والدولة العثمانية للسيطرة على تونس التي كانت تمثل موقعا استراتيجيا هاما في حوض المتوسط قبل أن تسقط بيد الإسبان الذين كانوا يريدون وقف توسع العثمانيين في حوض البحر الغربي للمتوسط، ولهذه الأسباب لم يتردد خير الدين في تنظيم حملة على تونس وشرع في نفس السنة.

ولقد سار خير الدين إلى القسطنطينية رفقة مولاي الرشيد حاملا معه مشروع إسقاط السلطان حسن، ولقد هاجم في طريقه سفنا اسبانية واستولى على بعضها مع بحارها في القسطنطينية، وعين خير الدين على إثرها أميرا للأسطول العثماني، ومنح له اللقب البايلرباي فقفل راجعا تاركا وراءه الرشيد الحفصي محبوسا في العاصمة العثمانية.

كان أسطول خير الدين يحمل على متنه حوالي 1800 انكشاري وحوالي 6500 رجل من أصول ألبانية وأناضولية ويونانية، وحوالي 600 من الأعلاج، توقف الأسطول عدة مرات كلابريا لجمع الغنائم والعبيد والماء والخشب، لما بلغ عنابة وجد في انتظاره إمدادات جاء بها حسن أغا، وسار الجيش التركي برا نحو بنزرت وبحرا نحو حلق الوادي[3].

---

1 – سحابات زهيرة ، المرجع السابق، ص 123.

2 – جون ب وولف، المرجع السابق، ص 46.

3 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 62.

دخل هذا الأسطول مدينة تونس دون مقاومة ولقد خرج منها السلطان الحفصي حسن فارا إلى عرب البادية، بل أن خير الدين لقي الترحيب من قبل سكان مدينة تونس إلا أن سكان المدينة ما لبثوا أن ثاروا عليه لما علموا أنه لم يصطحب معه الأمير الرشيد الحفصي لتنصيبه كما أشاع حسب اتفاقهم مع خير الدين، وأنه أخذ تونس باسم السلطان العثماني سليمان القانوني، ولقد رجع السلطان حسن الحفصي وقاد ثورة ضد خير الدين إلا أن هذا الأخير تمكن من القضاء على ثورتهم بعنف، وفر حسن ثانية إلى طوائف العرب في داخل تونس بينما قبل سكان تونس العاصمة بالأمر الواقع[1].

وبعد فتح خير الدين لتونس طرد الإسبان منها، لم يبقى أمام حسن المخلوع سوى العمل بنصيحة أحد أعلاجه وهو من أصل ألماني، الذي طلب منه أن يستنجد بشارلكان لاستعادة عرشه المسلوب، وفي 31 ماي 1535م انطلق الأسطول الاسباني المتكون من 450 قطعة بحرية تحمل 30 ألف رجل من برشلونة تحت قيادة شارلكان الذي بلغ خليج تونس يوم 15 جوان على الرغم من المقاومة العنيفة إلا أنه استطاع الاستيلاء على حلق الوادي ما اضطر خير الدين إلى الانسحاب بعدما تدعم الصف الاسباني بعرب القيروان ومولاي حسن حليف الإسبان[2].

كما تدعموا بالسجناء المسيحيين الذين هربوا من السجن، ولقد بقي خير الدين ومن معه طوال الليل تحت أسوار المدينة، وفي الصباح الباكر قرروا التوجه إلى الجزائر بعد هذه الهزائم المتلاحقة حيث خسروا 87 سفينة و 300 قارب سقطوا بأيدي المسيحيين[3] .

انتصر شارلكان الذي أعطى الضوء الأخضر للجنود بنهب المدينة عقابا لسكانها الذين لم يحسنوا استقبال المولاي حسن بحفاوة، وعلى اثر هذا الانتصار وقع مولاي حسن معاهدة مع شارلكان، وإن كانت هذه المعاهدة قد وضعت مولاي حسن من أدنى مراتب الذل والإهانة وقد نضمت المعاهدة على ما يلي :

1/ إطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين الموجودين في تونس .

2/ السماح للمسيحيين بالمتاجرة وبناء الكنائس في تونس العاصمة.

---

1 – سحابات زهيرة ، المرجع السابق، ص 124.

2 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 62.

3 – سحابات زهيرة ، المرجع السابق، ص 124.

3/ دفع 12 ألف حصانا للملك.

4/ السماح لهم بالصيد في الشواطئ التونسية .

وفي المقابل وعدتهم اسبانيا بحماية تونس مقابل هذه البنود[1]، وإذا تخلف مولاي حسن عن أي شرط يدفع 50 ألف دوقة وفي المرة الثانية 100 ألف دوقة وفي المرة الثالثة تؤخذ البلاد منه، وبقيت تونس بين المد والجزر ونظرا لانشغال شارل الخامس وأخيه ملك النمسا في قتال الأتراك والفرنسيين في أوربا لم تبذل اسبانيا جهدا كبير لدعم وجودها في تونس وهذا ولمدة ربع قرن تقريبا، وأدت الخلافات بين الأمراء الحفصيين المتتاليين على السلطة إلى تأرجحهم بين التحالف مع الأتراك أو مع الإسبان، فاغتنم علج علي الذي حكم الجزائر عام 1568م الأوضاع المتردية في عهد السلطان حميدة بن الحسن الحفصي والدعوة التي تلقاها من بعض الناقمين على الوضع من أعيان تونس ورجالاتها ومنهم الطيب الخضار وغيره، وانشغال الأسبان بقضية الأندلسيين في جانفي 1569م[2]، فشن حملة برية على تونس في أكتوبر 1569م وكان معه قوة تتألف من 5 آلاف رجل وخرج بمحلة عظيمة، وفي سيره انضمت إليه قوات أخرى من المتطوعين من قبائل عمراوة وقرفة وسويد قدرت بنحو 7 ألاف رجل[3].

وتمكن علج من تحرير تونس وانتصر على السلطان الحفصي أحمد في معركتي باجة وسيدي علي الحطاب، وفر هذا الأخير إلى الأسبان، أرسل علج علي في طلب الأسطول العثماني وقوات عثمانية كبيرة للقضاء على الحصن الاسباني القوي في حلق الوادي اذ بدون القضاء على الحصن تبقى تونس معرضة للخطر من طرف الأسبان في كل لحظة، ولكن السلطان العثماني كان بحاجة إلى الأسطول لفتح قبرص فلم يجبه على طلبه وعاد إلى الجزائر وبقيت حلق الوادي محتلة[4].

في هذه الأثناء كانت الدولة العثمانية في صراع مع البندقية التي كانت تعترض طريق بحارها، إلا أن اهتمامات السلطان بإيالاته كانت إحدى أولوياته، ولهذا وفي رسالة مؤرخة في

---

1 – عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 12.

2 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 125.

3 – ابن أبي الدينار، المؤنس فب تاريخ إفريقيا تتونس، ط1، مطبعة دولة تونس، تونس، 1869م، ص 163.

4 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 125.

978/05/22هـ موجهة إلى أمير أمراء جزائر الغرب يخبره فيها بأنه قد أرسل 150 قطعة إلى حلق الوادي من أجل تحريرها كما طلب منهم المساعدة وإعلامهم بما عندهم من عتاد حربي "قادرغات والقلبنات" من أجل تجهيزها وضمها إلى الأسطول العثماني لتحرير حلق الوادي من الإسبان والتي سوف نكون في الربيع القادم.

كما كانت الدولة العثمانية متأكدة من نية الإسبان وخاصة أن هذي الأخيرة على علم بانشغال إيالاتها بحروبها، وخافت من أن تغتنم الفرصة وتقوم بشن حملة ضد إيالاتها بشمال إفريقيا وخاصة تونس والجزائر، ولهذا أرسلت رسالة إلى القائد رمضان قائم مقام ووكيل أمير أمراء جزائر الغرب على –دام اقباله– مؤرخة بتاريخ 979/10/25هـ الموافق 28 شوال ردا على رسالة أبو الطيب وأعيان مدينة تونس تنص على مساهمة في إرسال الأمن والأمان في كل أرجاء الايالة ونواحيها وبالأخص تونس ومجاورها[1].

وكانت قد أرسلت رسالة من قبل بتاريخ 979/01/02هـ إلى أمير أمراء جزائر الغرب بطلب منه الإسراع في إلحاق القيروان إلى باقي المناطق وحماية البلاد من الإسبان.

ونشير رسالة أخرى من بين العديد من الرسائل التي تخص هذا الموضوع أرسلت من طرف السلطان العثماني إلى أمير أمراء جزائر الغرب بتاريخ 979هـ نص على "... يجب إلحاق الضرر بأسطول الكفار وعليك أمير أمراء الجزائر لحماية الجزائر وتونس ..."

وفي رسالة أخرى موجهة إلى أمير الأمراء جزائر الغرب يخبره بنية الدولة العثمانية في إرسال أسطول حلق الوادي وسائر القلاع الحربية الأخرى لتحريرهم, ويكون الأسطول تحت قيادة القابودان علي باشا ونطلب الرسالة منه أن يرسل لملاقاة الأسطول الرجال والأسلحة مع العتاد الحربي.

إلا أن هذه الحملة لم يكتب لها النجاح حيث واجهت قلج علي عاصفة أجبرته على الالتجاء إلى موانئ اليونان بأسطوله, ومع ذلك تضررت سفنه واضطر في الأخير أن يرجع إلى اسطنبول استعدادا لتجديد محاولة أخرى ولكن مصيرها لم يكن أحسن من الأولى فأجل العملية إلى وقت لاحق[2].

1 – سحابات زهيرة ، المرجع السابق، ص 126.

2 – المرجع نفسه، ص 126.

وتمكن الإسبان من الاستيلاء على تونس مرة أخرى في شهر أكتوبر 1573م[1] بعد أن قام دون خوان ملك النمسا بحملة ضدها هذا الأخير الذي كان متأكدا من وقوع حملة عثمانية على تونس من أجل استرجاع حلق الوادي' ولم تكن استعادة تونس مهمة وايالة الجزائر فحسب بل كانت مهمة الدولة العثمانية بكاملها لما تكتسبه هذه المنطقة من أهمية استراتيجية كبيرة في الصراع العثماني والاسباني, ولهذا تحركت هذه الأخيرة بسرعة لاستعادة هذه الأخيرة بسرعة لاستعادة تونس وحلق الوادي معا[2]، ولهذا أرسل السلطان سليم الثاني سلسلة من المراسلات لقادته في مختلف الولايات العثمانية في شمال إفريقيا من أجل تحرير تونس[3]. كما أرسل في نفس الوقت رسالة إلى أمير كوكو بطلب المساعدة منه وتأمين ما يمكن من الذخيرة والالتحاق بالأسطول العثماني من أجل الأمر ذاته[4], وقد وصلت القوات التركية في الأيام الأخيرة من شهر جوان حيث جاءت من طرابلس قوات تتكون من أربع (4) ألاف رجل وجاءت جربة والقيروان وكانت تتكون من ستة (6) ألاف فارس وجاءت من مدينة تونس ومن عنابة قوات تتكون من ألفين رجل, وانضمت إلى هذه القوات أعداد غفيرة من الأهالي , ضرب الجميع خيامهم بالقرب من مدينة تونس في 01 جويلية, وعلم الإسبان في تونس باقتراب الأسطول العثماني, وتكون هذا الأخير من 280 قطعة بحرية بقيادة علج علي وساعده حسن باشا, ولقد الأسطول العثماني يوم 13 جويلية بالقرب من رأس قرطاجة قبالة حلق الوادي, وأمر القائد الأسطول البري بضرب الحصار على تونس تحت قيادة حيدر شيخ القيروان ودعمها أربعة (4) ألاف تركي جنود الأسطول وثمانية (8) مدافع كبيرة وصغيرة[5], وفي 17 جويلية شرع في قصف حصن حلق الوادي من الجهتين, وفي 10 أوت وصل القائد رمضان إلى تونس مع خمسة ألاف تركي من الجزائر وعدد كبير من الأهالي في 13 سبتمبر سنة 1574م, فلقد تمكنوا من فتح تونس ومن وقتها تخلى الإسبان عن فكرة احتلال

1 – أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية، تونس، 1977م، ج2، ص 19.

2 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 96.

3 – عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 246.

4 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 127.

5 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 96.

تونس نهائيا[1], وبسقوط الحصن سقطت الدولة الحفصية وانتهت مرحلة الاحتلال الاسباني على تونس, وأصبحت هذه الأخيرة إحدى ايالات الدولة العثمانية, وعين حيدر باشا واليا عليها وكلفه بوضع نظام مشابه للنظام العثماني السائد في الجزائر[2].

ثانيا: تحرير طرابلس

استولى الإسبان على طرابلس الغرب عام 1510م واستمروا حتى عام 1535م حينما استغنى الإسبان للفرسان القديس يوحنا الذين كانوا يتخذون من جزيرة مالطة مقر لهم بعد أن طردهم الأتراك العثمانيون من جزيرة رودس وقد ظلوا يحتلون ليبيا حتى عام 1551م, وان كان تسليم اسبانيا طرابلس إلى القديس يوحنا أمر اغضب السلطان, ومهما تكن الأسباب والدوافع فان الوجود الجزائر كإيالة عثمانية وتميز ولائها بالقوة وروح المغامرة قد طمأن السلطان العثماني وهيأ له الأسباب في الإقدام على فتح طرابلس, وخلال القرن 16م كان نجم الدولة العثمانية يسطع على الحوض المتوسط, ولهذا قرر وفد من أهل تاجوراء الليبية بالذهاب لصاحب القسطنطينية يطلبون منه الإعانة, وكانوا لا خبرة لهم بلغة الترك فلما حضروا إلى القسطنطينية استغرب أهلها وسألوهم من أي بلد انتم؟ فأخبروهم أنهم من طرابلس الغرب قدموا لحضرة السلطان مستغيثين به, ولقد قبل السلطان العثماني الإغاثة ونجدة سكان طرابلس فسرح مراد أغا مع الوفد في خف من العساكر الذين نزلوا في قرية تاجوراء الليبية, ولقد باشر بتحصينها ثم قام بإعداد قوة من الأهالي إضافة إلى من معه من جنود وبدأ بشن هجومات متفرقة ضد الفرسان[3] , وكان درغوث قد اتخذ من مدينة المهدية مركزه الرئيسي وأمر شارل الخامس كلا من أندريا دوريا " Andre Doria" و خوان دي فيجا "Juan don de Vega" نائب ملك صقلية بإعادة الاستيلاء على هذه المدينة فتمكنا من ذلك رغم دفاع درغوث باشا عنها سنة 1551م, وكان شارل الخامس يرغب في منح

1 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 96.

2 – ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص 189.

3 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 128.

المهدية الى منظمة فرسان مالطا الذين رفضوا ذلك وحتى لا يتركها في ايدي الأتراك فقد عزم هذا الإمبراطور على تخريبها فسحب منها الحامية وهدم تحصيناتها بالديناميت[1].

ولقد كان مراد اغا باطلاع الدولة العثمانية عن كل ما يحصل في طرابلس من قتل وتشريد, إلا أن درغوث باشا لم يقتنع بها جمع المرسلات وتوجه بنفسه الى اسطنبول , وقدم شرحا وافيا حيال هذه القضية وما يفعله المسيحيون بحق مسلمي المغرب العربي, كما حاول خلال سرده للأوضاع ذكر أهمية طرابلس الغرب العسكرية والاقتصادية, وفي هذه الأثناء طلب السلطان من القبطان سنان باشا بتجهيز الأسطول والتوجه الى طرابلس الغرب لطرد الفرسان منها وتحرير وهران وبجاية وتونس في طريقه[2].

ولقد كان رد السلطان العثماني سريعا وحماسا لما جرى على مدينة المهدية واسترقاق أهلها من طرف الإسبان, ولهذا جهز سنان باشا وعلى الفور بطلب من السلطان العثماني أسطولا ضخما مكونا من 112 سفينة و52 مركبا بين صغير وكبير واصطحب على متن الأسطول 8 ألاف انكشاري و 400 محارب وصانع 600 فارس بخيولهم وكميات كبيرة من المؤن والمعدات اللازمة كما عهد إلى الريس درغوث قيادة بعض السفن الأخرى[3].

وما إن علم فرسان مالطا بقرار السلطان العثماني أصابهم الذعر والارتباك فطلبوا من نائب ملك صقلية إمدادهم بالجنود والعتاد, وبمساعدة صالح رايس بايلرباي الجزائر ودرغوث رايس وقبل الوصول إلى طرابلس هاجم الأسطول الإسلامي مالطا عام 1551م, غير أن استبسال الفرسان في الدفاع عن جزيرتهم حال دون سقوطها, فانسحب سنان ورفاقه إلى جزيرة قوزو واحتلوها, ووصلت الحملة في 4 أوت 1551م إلى مدينة طرابلس الغرب وحاصرها العثمانيون لمدة 10 أيام حيث أصبح سقوط المدينة أكيدا[4].

---

1 – فيرو شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العثماني حتى الغزو الايطالي، تر و تح وتق، محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قايونس، ليبيا، ص 89.

2– سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 129.

3 – نفس المكان.

4 – جون وولف، المرجع السابق، ص 68.

ولقد تمكن الأسطول الإسلامي من ضرب منشآت الميناء ودخلوا المدينة بعد قصفها وطرد الفرسان منها, وتم تعيين مراد آغا واليا على طرابلس, وأضحت بذلك طرابلس منذ عام 1551م ولاية عربية تحت السيادة العثمانية[1].

1- يحي بوعزيز، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 218.

المبحث الثالث: دور البحرية الجزائرية في نجدة المورسكيين

عرفت منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض القرنين 15 و16 م تحولات هامة قلبت الموازيين القوى في المنطقة, ومن أهم هذه التحولات الجديدة سقوط أخر معقل للمسلمين وهي غرناطة عام 1492 م على يد الإسبان وطرد المسلمين منها وسجل سقوط غرناطة تحولا جذريا في تاريخ العلاقات الدولية وعدم التوازن ودخول طرفين جديدين في قلب الصراع وهما اسبانيا المسيحية والدولة العثمانية الإسلامية[1]، وبالتالي سيكون مصير الأندلسيون الطرد, ولهذا هاجر أغلبهم إلى مدن شمال إفريقيا خوفا من ضياع دينهم وشخصيتهم الإسلامية ,حيث استقبلوهم الأفارقة الذين أصبحوا هم أيضا عرضة للخطر الاسباني لأنهم مدوا لهم يد العون , فلم يجد الأندلسيون حلا غير الاتصال بالدولة العثمانية باعتبارها القوة الوحيدة المناهضة للإسبان لكتبهم الدينية وتجريدهم من شخصيتهم الإسلامية حيث :"...ولم يتركوا فيها كتابا مسلما ولا مصحفا يخلوا به للقراءة ..."، وغيرها من الأفعال المشينة والسيئة التي عاشها ومازالوا يعايشونها من طرف الحكام الإسبان.

ولقد عانى مسلموا الأندلس من ظلم وقهر شارلكان لهم فمنهم من هاجر إلى شمال إفريقيا, ومنهم من قرر البقاء بسبب ممتلكاتهم ولهذا فروا هاربين إلى أحد الجبال, وأرسلوا خبر إلى الريس خير الدين يعلمونه بما حل بهم ويلتمسون المساعدة, فكلف خيرة الرياس مع 36 غالية لمساعدتهم ونقلهم إلى مناطق الشمال الإفريقي, وحالما وصل الأسطول الجزائري إلى السواحل الاسبانية باشر الرياس بإنزال جنودهم إلى البر وخصصوا ألف مقاتل للدفاع عن مواقعهم في حين بدأ المسلمون بركوب السفن, وقد قام الرياس بسبع رحلات لإنقاذ المسلمين ونقلوا خلالها 70 ألف مسلم إلى السواحل الإفريقية[2].

كما قام الأندلسيون بمساعدة الجزائريين بالعمل البحري بهدف إنقاذ ما تبقى من المسلمين المضطهدين في اسبانيا, ولهذا سعى الإخوة بربروس لمساعدتهم وقاموا بتجهيز الحملات ضدهم.

وتوالت مساندة الأسطول الجزائري لمسلمي الأندلس حيث كان هناك اتفاق بين الثوار,

---

1 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 113.

2 – عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص ص 98–99.

الذين كانوا يحضرون للانتفاضة مع علج علي الذي حضر على إثرها هذا الأخير 14 ألف رجل مسلحين بالأكوبوس و60ألف من الأهالي وأرسل 400 جمل محملة بالبارود إلى مزغران للقيام بالهجوم على وهران ثم النزول في شبه الجزيرة الأيبيرية من أجل تقديم المساعدة للموريسكيين. وبعد اشتعال الثورة عام 1568م أرسل مسؤولها محمد بن أمية أخاه عبد الله إلى القسطنطينية بطلب العون من جديد ومر هذا الأخير بالجزائر حيث استقبله علج علي بحفاوة, وأعطى له الهدايا وأرسله إلى اسطنبول كما أعطاه رسالة توصية للسلطان العثماني[1].

ولقد رد السلطان العثماني في رسالة تحمل تاريخ 24 شوال 977هـ والموافق ليوم 1 أفريل 1570م يقول فيها أنه منشغل كثيرا بسبب ما يجري في الأندلس إلا أنه في الوقت الحالي منشغل بجزيرة قبرص القريبة من ممالكه, لأن الكفار قد نقضوا العهد وأخذوا في التعدي على التجار والحجاج, لذا فقد تقرر فتح الجزيرة خلال شهر الربيع الثاني من عام 978هـ الموافق لشهر سبتمبر 1570م لذا فإن إرسال الأسطول للأندلس سيتأخر ريثما يتم فتح هذه الجزيرة, وفي انتظار ذلك فقد أرسل أوامره لعلج علي بايلرباي الجزائر لإرسال النجدات والمعونة لهم, وفي هذا الوقت كان علج علي قد أرسل بالفعل العتاد والسلاح والرجال إلى الأندلس, وكان في نيته إرسال الأسطول لإعانة أهل الإسلام[2].

وفي يوم الأربعاء المقدس أرسل 40 قطعة بحرية إلى سواحل المرية في انتظار الإشارة التي تعلن انطلاقة الانتفاضة في غرناطة[3]، ولقد كان الهدف من وراء إرسال هذه القوات هو تشتيت جهود الإسبان وإرباك قواتهم، ولكن أحد رؤساء الثوار وقع في خطأ أدى إلى كشف مخازن الأسلحة الواحد تلو الآخر، كما ألقوا القبض على بعض الثوار، ولم يكن المسلمون لا غالبين ولا مغلوبين كذلك فإن الأسطول الجزائري لم تنزل قواته إلى البر ولهذا لم يتمكن من تقديم المساعدة لهم[4].

1 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 132.

2– نفس المكان.

3– صالح عباد، المرجع السابق، ص 91.

4– عزيز ساح ألتر، المرجع الاسبق، ص 226

ورغم الهزيمة التي مني بها علج علي إلا أنه لم يتردد في مد يد العون للأندلسيين, ففي جانفي 1569م أنزلت خمس سفن قادمة من الجزائر مدافع وذخيرة وأسلحة وإمدادات, كما أرسل علج 32 قطعة بحرية أخرى تحمل الجنود. إلا أن زوبعة بحرية شنت شملهم بعد أن اندلعت الانتفاضة, وأرسل في أكتوبر 4 ألاف رجل مسلحين بالأركوبوس وبعض المئات من رجال الانكشارية القدامى ليكونوا قادة الانتفاضة, وفي سنة 1570م أرسل جنود آخرين وأسلحة وهيأ للانتقال بنفسه إلى شبه الجزيرة أيبيريا غير أن دون خوان النمسا أعاقه بشروعه في الحملة التي سوف تنتهي بمعركة ليبانت[1], وقد أمره السلطان العثماني بالاستدعاء للمشاركة في هذه الحملة حال دون التحاقه بالانتفاضة[2].

ولقد استمرت الاتصالات بين الموريسكيون والباب العالي رغم الهزيمة التي تلقوها أمام دون خوان النمساوي, حيث أرسلوا رسالة إلى السلطان العثماني يخبروه فيها بأن الأسلحة التي أرسلوها إليهم لم تصلهم وهم حاليا يشكون من قلة الذخيرة وأن الكفار تمكنوا من السيطرة على أغلب المناطق, وجاء جواب السلطان بأنه أرسل علج علي لمساندتهم على رأس بضعة قطع من الأسطول الهمايوني.

وفيما بين سنتي 1604م و1609م عقدت اسبانيا اتفاقات مع كل من هولندا وانجلترا للتفرغ كلية للمشكل الموريسكي, وفي عهد رضوان بكرلي (1607م –1610م) أرسلت الجزائر أسطولها بالقرب من دانية لمساعدة الموريسكيين للقيام بالثورة, ولكن السلطات الاسبانية كشفت المؤامرة فأعلن المجلس الملكي الاسباني في عهد فيليب الثالث (1598م–1621م) عن المصادقة على القرار التاريخي الصادر في يوم 4 أبريل 1609موالخاص بطرد جميع الموريسكيين الأندلسيين من المملكة الاسبانية, وترجع بعض المصادر الغربية على أن سبب هذا النفي هو رفض الأندلسيين الاندماج في المجتمع الإسباني[3].

وفي سنة 1584م صار أسطول من الجزائر إلى بلنسية وحمل 2300 موريسكي فبلغت الحملات البحرية التي وقعت على الشواطئ الاسبانية 33 حملة بغض النظر عن تلك المحلية التي كانت تقوم بها سفن صغيرة.

---

1 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 91.

2 –أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة، سنة، المرجع السابق، ص 393.

3 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 133.

وتمثلت المهمة الثانية للبحرية الجزائرية في العمل على نقل المطرودين إلى موانئ الجزائر, وفي هذا السياق يخبرنا كاتب شلبي أن خير الدين وجه حوالي 36 سفينة إلى السواحل الاسبانية وذلك خلال سبعة سنوات لنقل حوالي 70 ألف موريسكي[1].

وفي هذه السنة كان خروج الدفعة الأخيرة للمسلمين الأندلسيين من اسبانيا إلى سواحل شمال إفريقيا, ولقد رحب الجزائريون بهم ترحيبا عظيما[2], واستطاعوا الاندماج معهم بسرعة بالرغم من أنهم تلقوا صعوبة إلا أنهم تخطوها, ومع مرور الوقت تركوا بصمة في كل ميادين الحياة وخاصة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي.

ولقد كلفت عمليات الإنقاذ والإنزال البحرية الجزائرية ثمنا غاليا في الأرواح والعتاد وبالرغم من الاشتباكات المستمرة مع العدو وقلة الإمكانيات فان رياس البحر قاموا بالدور المنوط بكل مسؤولية, ويتجلى عملهم الضخم في إنقاذ الآلاف من المسلمين الأبرياء من نار الحقد والكراهية الإبادة المسلطة عليهم من طرف الحكام الإسبان المتعصبين, وأرغموا التجار الإسبان على التراجع مما أضر كثيرا بالاقتصاد الاسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط, ولم يتوقف عمل الأسطول في هذه الجهات بل هاجم سفن الأعداء وأسر الكثير منهم, وأغار عليهم الرعب جراء تنكيلهم بالمسلمين, وخلاصة القول أن الجزائر لم تبخل على المسلمين بالأندلس في مد يد العون لهم سواء بالأرواح أو العتاد, ولم تتهاون يوما عن ذلك ولو كانت الإيالة تعيش في أسوء ظروفها[3].

1 – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 115.

2 – عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 325.

3 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 134.

المبحث الرابع : دور البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية

أولا: حصار مالطا (Le siège de malte 1565):

لم تقتصر مساهمة البحرية الجزائرية للأسطول العثماني على الحوض الغربي للمتوسط فقط, بل تعدى ذلك إلى الحوض الشرقي المتوسط, حيث قرر السلطان العثماني سيلمان القانون القيام بحملة تأديبية على جزيرة مالطا التي كانت مركز فرسان القديس يوحنا, حيث أصبحوا يقلقون أقاليمها بتصرفاتهم, كما كانوا يشكلون خطرا على المراسلات بين الجزائر والدولة العثمانية من جهة, أما من جهة أخرى أصبح هؤلاء الفرسان يقفون في وجه توسعات الدولة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط[1].

ولهذا السبب ابدأ السلطان سليمان القانوني بإرسال فرمانات إلى كل الولايات العثمانية يطلب منها المشاركة في حصار مالطا, ومنها ايالة الجزائر التي طلب من حاكمها آنذاك حسن باشا الاستعداد للانضمام للأسطول العثماني في الربيع 1565م المتوجه لحصار مالطا, ولقد لبى الدعوة وسار على رأس عمارة بحرية نشمل 25 سفينة وثلاثة 3 ألاف رجل[2], ولقد وصلت هذه العمارة البحرية إلى مالطا في 5 جويلية 1565م.

وتكون الأسطول العثماني من قوة بحرية جزائرية بقيادة حسن باشا ومن الدولة العثمانية بقيادة ببالي باشا قائد القوات البرية ومن طرابلس وجربة بقيادة درغوث باشا[3].

وفي 18 أيار سنة 972هـ/1565م وصل الصدر الأعظم مصطفى باشا قائد الجيش وببالي باشا آمرا على الأسطول, اتجه الاثنان إلى مالطا ثم التحق بهم أمراء الشمال الافريقي, وقد رافقهم علج علي باي الإسكندرية وكان يحمل أربعة أو ستة سفن وعلى متنها 900 رجل مصري ولقد وصلوا إلى مالطا يوم 24 ماي, وعلى الفور باشروا بمحاصرة سانت ألم (Burc–Sent–Elm) وبمقربة من المحاصرة أصيب درغوث باشا بشظية في رأسه توفي على إثرها ولقد خلفه علج علي كخليفة في الحرب[4].

---

1 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 89.

2 – يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص 179.

3 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 89.

4 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 135.

أما حسن باشا فلقد وصل في 5 جويلية 1565م أي بعد انتهاء المرحلة الأولى من المعركة, وأثناء عمليات الهجوم توفي هذا الأخير –أي درغوث باشا– فقام حسن باشا بمهاجمة قلعة سان ميشال وتمكن من الحاق خسائر فادحة بالمدفعين عنه, وقد أكتسبه قيادته لعمليات الهجوم شهرة عظيمة, وحالما رغب الصدر الأعظم بفك الحصار قرر حسن باشا وعلج علي الاستمرار بمتابعة الحصار, لكنهما لم يحققا أي نجاح يذكر, وبما أن حسن باشا أصيب ببعض الجروح فقد وافق الصدر الأعظم على طلبه, عاد حسن باشا بعدها إلى الجزائر بعد أن فقد نصف جيشه[1], وعلى الرغم من الحصار الذي ضرب 5 أشهر الا أن العثمانيون انسحبوا لما أرسل نائب ملك صقلية قوة صغيرة إلى مالطا, وكان الأتراك يعتقدون أنها كبيرة, ولقد تركوا ورائهم الكثير من التجهيزات والمؤونة وغيرها[2].

ويقول خليل أغلو عن بروديل : أن أسباب فشل الحملة يرجع إلى القحط وتفشي الأمراض في صفوف العثمانيين الذين استولوا على أرض الجزيرة وتوقفوا أمام حصن سانت ألم اذ حاصروه ولم يتسن لهم فتحه واقترب موسم الشتاء ولم تردهم النجدة ولا الذخائر من اسطنبول[3].

ونظرا للدور الفعال الذي قام به حسن بن خير الدين في المعركة وما أظهره من شجاعة وبسالة حتى الأخير, فقد أرسل في طلبه السلطان العثماني وعينه أميرال على البحرية في رجب 974هـ/1567م وغادر الجزائر نهائيا, ضف إلى ذلك فلقد كشفت معركة مالطا الوقوف الدائم للإيالة الجزائرية أمام الباب العالي ومساندتها في كل حروبها وهذا يدل على رغبتها الدائمة في حمل راية الاسلام والمسلمين والدفاع عنهم[4].

ثانيا: معركة ليبانت 1571م (Lepante)

لقد كانت مشاركة الجزائر في المعركة ليبانت, مشاركة ملحوظة وفيها برز بحارتها بقيادة علج علي أحسن رجال البحر, وهذا ما ظهر من خلال نشاطاتهم البحرية وقوتهم المسيطرة

1 – عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 219.

2 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 89.

3 – خليل ساحلي أوغلو، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانين، تق أكمل الدين إحسان أوغلو، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، اسطنبول، 2000م، ص 341.

4 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 136.

على حوض البحر المتوسط، حيث تلقى العلج علي الأوامر من السلطان بتجهيز أكبر عدد من السفن والتوجه إلى قبرص للانضمام إلى الأسطول العثماني الذي حضر نفسه لمواجهة الأسطول المسيحي المتحالف مما جاء في نص الأمر ما يلي: "بعد التوكل والاعتماد على علو عناية الحق جل وعلا, والتوسل والاستناد إلى آيات معجزات سرور الكائنات عليه وعلى آله أفضل الصلوات, فقد تقرر في هذه السنة الخيرة غزو الكفار من البر والبحر وإلحاق الخسارة بجزره المعادية وأسطوله-هزمه الله- وكذلك بقصد دفع مضرته وفساده وتلقينهم درسا لن ينسوه" وتلبية لهذه الدعوة خرج علج علي من الجزائر في ربيع 1571م[1] .

ولقد تخوف السلطان العثماني في هذه الفترة بالذات من أن تتعرض احدى الايالات إلى اي هجوم من طرف الاسبان لأنهم سوف يستغلون غياب قلج علي الذي كان مشاركا في الأسطول الهمايوني" معركة ليبانت" والايالة الجزائرية دون خليفة يرعاها, ولهذا أرسل فرمانا يقضي بإرسال قلج علي مع بعض القوات اذا حدث أي طارئ, ولهذا عليكم التفطن وأخذ الحيطة والحذر من أجل حفظ الأمن والأمان في كل من ايالة تونس والجزائر, كما عليكم اعلامي بأي أخبار تردكم عن العدو. وهذا الفرمان ما هو الا دليل على أهمية الايالة الجزائرية لدى الباب العالي, وبصر السلطان على المحافظة عليها من أي عدوان خارجي.

وتكون الأسطول المسيحي من مائتين وثلاثين قادرغة وسبعين فرقية وثمانية وعشرين بارجة وهي بقيادة شقيق ملك دون جوان الذي جهزها وأعدها للإبحار باتجاه كورفوس ,أما الأسطول العثماني فكان يضم 250 سفينة[2] ويتكون من الأسطول الجزائري بقيادة علج علي في المسيرة والأسطول الاسباني في الميمنة, وأسطول الدولة العثمانية الذي كان يحتل القلب بقيادة القبطان علي باشا الذي وصفته المصادر الأوربية برجل البحر الأول ولقد لعب دورا كبيرا في هذه المعركة التي بدأت يوم 7 أكتوبر 1571م[3].

---

1 – محمد سي يوسف، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2009م، ص ص 150-151.

2 – سميرة حمادي، علج علي باشا أمير أمراء الجزائر (1508-1587م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة مسيلة، 2015-2016م، ص 31.

3 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 138.

ولقد أكد السلطان العثماني تخوفه من غدر الإسبان ولهذا جدد طلبه من الرغم من أنه قد أرسل حكما حيال هذا الموضوع حيث قال:"... فإذا كان هنالك ثمة ما يدعو للحذر في أطراف الغرب (الجزائر) فإنني آمرك بالإسراع للوصول إلى هناك والعودة لملاقاة أسطولي الهمايوني في الربيع المبارك ...وإذا ما وقفت واطلعت على أخبار ولاية الغرب (جزائر الغرب) وإن اقتضى الأمر ذهابك إلى هناك, فلا تتأخر ولا تتوقف لحظة, وعليك بالقيام بما يجب عمله بمقتضى فرماني الجليل القدير..."

وبعد ساعات قليلة من بداية المعركة هزم أسطول الدولة العثمانية وقتل علي باشا, أما علج علي قائد الأسطول الجزائري الذي كان في مسيرة الأسطول الاسلامي, فلقد حقق انتصارات كبيرة ضد الحلف المقدس حيث استولى على 10 سفن وقتل ما يقارب 500 جندي, وبعد مقتل علي باشا قائد الأسطول العثمانيون تولى قيادة الأسطول علج علي, وبعد الاستيلاء العلج على السفينة التي تحمل الراية البابوية, كان قد استولى على الراية الكبرى للأسطول العثماني وقد جاءها الأتراك من مكة[1].

وتعد معركة ليبانت أول هزيمة بحرية خطيرة بهذا الشكل تلقتها الدولة العثمانية فحسب **بروديل** 3000 أسروا[2]، قد أغرق الأوروبيون 94 سفينة واستولوا على 130 سفينة أخرى عليها نحو 300 مدفع وقتل وجرح 30 ألف رجل, ولقد أرجع صالح عباد أسباب انتصار الأسطول المسيحي حسب جون وولف إلى عاملين أساسيين وهما: وجود السفن الستة الضخمة التي تعود للبندقية وكون أغلبية الجنود المسيحيين والبحار يحاربون بالدروع الضخمة, أما الجنود الأتراك فلا يكادون يتوفرون عليها من جهة وكون جل الجنود المسيحيين مسلحين بالأسلحة النارية من جهة أخرى في حين كان الجنود الأتراك باستثناء عدد قليل يحاربون بالأقواس والسهام والرماح والسيوف المحدبة[3].

ومن أسباب الفشل أيضا التحضير السيء والسريع وبالمقابل عم أوربا الفرح بسبب الانتصار الأول ضد المسلمين[4], وبالرغم من هزيمة الأسطول العثماني إلا أنه برز من خلالها هيبة

1 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 138..

2 – سميرة حمادي، المرجع السابق، ص 32.

3 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 95.

4 - Behamissi (M), Histoire…,op.cit, p 139.

وقوة الأسطول الجزائري من جهة, ومن جهة أخرى ظهور رجال أكفاء أمثال علج علي الذي أشاد به السلطان العثماني سليم الثاني بعدما قام بإنقاذ ما تبقى من الأسطول العثماني[1].

ثالثا: حرب البنادقة 1639م (la venice guerre)

في سنة 1639م دخلت الدولة العثمانية في الحرب مع البنادقة في الساحل الدلماشي بألبانيا, وكان السلطان العثماني قد استنجد بالأسطول الجزائري الذي قاده البحار الجزائري علي بوتشين إلى هناك, وبسبب حدوث زوابع بحرية شديدة التجأ الأسطول الاسلامي إلى خليج فالونا, واغتنم البنادقة نزول البحارة على ظهر المركب[2].

كما استولى البنادقة على 12 غليوطة وغرق 4 غاليوطات كما فقدوا سفينتين من نوع برغانطة, ولم ينج من الرياس الا القليل في حين تمكن علي بوتشين من الخروج بسلام لكنه تعرض إلى اضرار كبيرة لان المجدفين والسفن كانوا من ملكه الخاص[3].

وان كانت هذه الحادثة قد مثلت منعرجا خطيرا وحاسما في تدهور البحرية الجزائرية التي كانت هي الداعمة الأساسية التي ترتكز عليها الجزائر, ولم تتمكن هذه الأخيرة منذ هذه الواقعة من استرجاع قوتها كما كانت, لأنه إن كان من السهل بناء المراكب البحرية نظرا للازدهار صناعة السفن في الجزائر, فانه من الصعب إعداد ما تتطلبه السفن الجديدة من بحارة وقادة يقطع النظر عن الأسرى اللازمين لتسيير البواخر الحربية, وبالرغم من أن الباب العالي قد وعد الجزائر بتعويض خسائرها وتجهيز ب25 باخرة حربية كبيرة, لكنها لم تف بوعدها[4].

ومن آثار هذه الواقعة أن تعهد بعدم المشاركة في مثل هذه الحروب, حيث أنهم وحدهم من دفعوا الثمن غاليا وضحوا بدمائهم وأموالهم, ولهذا فقدو قطعوا وعدا على أنفسهم بعدم القيام

1 – سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 139.

2 – يحي بوعزيز، علاقات...، المرجع السابق، ص 73.

3 – عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 365.

4 – محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 166.

بمثل ذلك والتزموا بوعدهم[1], وأصبحوا ينظرون إلى كل المطالب الواردة من الدولة العثمانية نظرة الارتباك والشك[2].

إن المكانة التي تحتلها البحرية الجزائرية في الصراع العثماني المسيحي تبين مدى أهميتها ومدى أهمية الجزائر في هذا العهد, الا أن الأهمية خلقت مشكلا للإيالة ولو بشكل غير مباشر, وهو غياب البايلرباي وترك أوامر الايالة للخلفاء لأن البايلرياي كثيرا ما يكون في البحر كما يرقي إلى منصب القابودان باشا مع الاحتفاظ بمنصبه في الجزائر[3].

1 – عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 365.

2 – محمد بن مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 166.

3 – محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 112.

الفصل الثاني : العلاقات العسكرية الجزائرية العثمانية في عهد الآغوات والدايات.

- المبحث الأول : ظهور بوادر الانفصال على الباب العالي في عهد الآغوات.
- المبحث الثاني : نظام الدايات في العهد العثماني.
- المبحث الثالث : بعض نماذج التعاون العسكري الجزائري العثماني.

المبحث الأول : ظهور بوادر الانفصال على الباب العالي في عهد الآغوات.

1-التحول في نظام السلطة :

في أواخر عهد الباشا إبراهيم (1656 – 1659) قامت ضده ثورة عارمة تزعمها رياس البحر من جهة, والجنود الانكشاريون من جهة أخرى, فالرياس ثاروا بسبب قيام الباشا إبراهيم بحرمانهم من المبالغ المالية التي خصصها لهم الباب العالي تعويضا عن خسائرهم, وقيامه بدفعها كرشاوي لرجالات الدولة في القسطنطينية حتى يبقوه في منصبه ومن أجل ذلك هاجم الرياس قصره واعتقلوه وأودعوه السجن[1] .

أما الانكشاريون فاغتنموا هذه الفرصة لتنظيم الانقلاب وتسلم مقاليد الحكم لفترتهم, ولم يكن في استطاعة طائفة الرياس من الثبات في وجوههم بعد الأزمات المتتالية, وبمقتضى الانقلاب تم القضاء على سلطة الباشا وتقرر إعطاء السلطة التنفيذية للآغا رئيس العسكرية, على شرط أن لا تتجاوز مدة حكمه الشهرين, أما السلطة التشريعية فتقرر أن تكون بيد الديوان وبذلك أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم[2] .

ومنذ البداية كان هذا النظام يحمل في طياته بوادر الانحلال والتفكك والفوضى ويعتبر هذا النظام أي نظام الآغوات محاولة لإيجاد نوع من الديمقراطية داخل الطبقة العسكرية التركية الحاكمة, إذ أن مدة الآغا لا تتجاوز الشهرين, يخلف في مهامه أكثر العسكريين أقدمية, ضف إلى ذلك كانت محاولة بارزة للانفصال عن الدولة العثمانية من جهة وإضعاف مركز طائفة الرياس التي كانت كلمتها هي العليا في عهد معظم الباشوات مع العلم من أن فرقة اليولداش لطالما اتهمت الرياس بمحاولة الانفصال عن الباب العالي[3] .

---

1 – يحي بوعزيز, المرجع السابق، الموجز في تاريخ الجزائر، ص 42 .

2– محمد بن مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 172.

3– نفسه , ص 172 .

2- بداية توتر االعلاقات بين الجزائر والباب العالي :

كان البولكباشي خليل أول الآغوات الذين انتصبوا على رأس الحكومة الجزائرية في شهر ذو القعدة سنة 1070هـ / جويلية 1660م[1], وهو من حرك هذا الانقلاب ضد نظام الباشوات وإلى جانبه الباشا إبراهيم ممثل السلطان الذي نجا من القتل لكونه لم يعمل شيء ضد الإنكشارية[2], ولقد استهل حكمه بتنظيم الأمور المالية وبخفض الرسوم الجمركية ومنع التدخل في الأعمال الجمركية[3] وحالما وصل علي باشا إلى أزمير كتب تقرير بالأحداث التي تعرض لها وطلب الإذن من قاضيها بشأن إعلام اسطنبول بذلك, غضب الصدر الأعظم كوبرلو محمد باشا من مقلب الجزائريين وبسبب غضبه الشديد استدعى الباشا من أزمير وأمر بقتله, كما أرسل فرمانا إلى الجزائريين يخبرهم فيه " أخيرا لن نرسل إليكم واليا, ولوا من تريدون, السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم, لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر فالجزائر إذا كانت وان لم تكن شيء واحد, ومن بعد ذلك إن اقتربتم من الممالك العثمانية فلن تكونوا راضين ".

كما أرسا فرمانا أخرإلى البحارة في جميع السواحل العثمانية وإلى مصر وشريف مكة يطلب منهم منع الجزائريين من الذهاب إلى الحج وعدم بيع الأسلحة لهم, وعدم السماح لهم بالاقتراب من السواحل العثمانية[4] .

ولكن في الأخير وافق السلطان العثماني وصادق على طلب الحكومة الجزائرية مشترطا على الديوان تحمل نفقات الجند وبذل المرتبات للضباط وجميع الموظفين في الحكومة

1- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام . ج 1 , دار مكتبة الحياة , بيروت , 1965 , ص 158 .

2- صالح عباد , المرجع السابق , ص 128 .

3- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 387.

4- المرجع نفسه، ص 387 .

الجزائرية فتحملت الجزائر يومئذ جميع نفقات الدولة وبذلك أحرزت إيالة الجزائر على شبه استقلال من الحكم الذاتي في دائرة السلطة العثمانية ورعايتها[1] .

وإن كان هذا النظام قد منح الدول الأوروبية بعض الأمل بالقيام بنشاطاتهم البحرية, فقد كانوا يعتقدون أن القوة الحقيقة أصبحت بيد الإنكشارية وأن نفوذ الرياس تضائل وضعف ولن يتمكنوا من التحرك حتى إن رغبوا وأنهم سيواجهون ضربة قاسية جدا , وبهذا الشكل سيعم الأمن والاستقرار على البحار, ولكن أملهم قد خاب فإن استمرار نشاط البحرية كان ضروري للأوجاق لتأمين الغذاء والطعام للجيش الكبير في بلد تجارته وزراعته قليلة ومحدودة ولذلك اندفعوا بكل قواهم إلى البحار ملحقين الأضرار الجسيمة بالحكومات المجاورة[2] .

كما أقبلت عمارة انجليزية بحرية تحتوي على 23 قطعة بحرية ولقد أرست بالقرب من مياه الجزائر الإقليمية وبعثت بمندوبها إلى الديوان مطالبة بوضع مراكز ومحارس لها تجارية بالسواحل الجزائرية ولكن الحكومة رفضت ذلك فشنت عليها هذه العمارة غارة بالغدر فكانت لها الحصون الجزائرية بالمرصاد, وكانت الهزيمة كبيرة جدا للإنجليز ويومها أعلنت الجزائر الحرب رسميا ضد بريطانيا وما كان على بريطانيا إلا الاستسلام للجزائر وشروطها .

وفي أيامه أيضا جهزت حملة صليبية أخرى ضد الجزائر كان من ورائها تحالف دول أوروبا الأربعة فرنسا وبريطانيا وهولندا وايطاليا, وفعلا وقت الإغارة واحتلت مدينة جيجل آنذاك ولكن النصر في الأخير كان للأتراك فاستولوا على اثنا عشر مركبا فرنسيا ومثلها من السفن الايطالية والانجليزية وسبعة سفن هولندية[3], ولولا أن السلطات الجزائرية كانت حاذقة واتبعت طريقة مخالفة البعض الآخر على التوالي لراحت ضحية تحالف أوروبي عنيد لن يسكت حتى يحطمها .

1- عبد الرحمان الجيلالي , المصدر السابق , ص 158 .

2- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق ' ص 387 .

3- عبد الرحمان الجيلالي , المصدر السابق , ص 158 .

وإن ذكرنا لهذه الحملة هو إظهار غياب الباب العالي وبشكل كلي حيث لم يذكر أنه تدخل لإيقاف هذه الحملة الصليبية وهذا ما يفسر لنا الضعف الذي اعترى الدولة العثمانية وعجزها الكامل منذ القرن الماضي عن اتخاذ أسطول قوي يدافع عن نفسها وعن ممالكها وإمبراطوريتها النائية الواقعة وراء البحار[1] .

وانتهت مدة الشهرين لخليل آغا في أكتوبر 1660م ولكنه لم يترك الحكم فتمردوا عليه من طرف بعض المعارضين فهجموا عليه وقتلوه, ولقد تولى البولكباشي رمضان المعروف باسم بويوك منصب الأغوية بالجزائر سنة 1071هـ / 1660م وكانت علاقته بالانكشاريين جيدة حيث عمل على زيادة الأعمال البحرية ووفق بذلك فمدد له الانكشاريون مدة الحكم[2] .

لم يستطع رمضان آغا تغيير النظام السابق الذي أوجده خليل آغا وفي عهده تعاظم نفوذ الآغوات المعزولين من أعضاء مجلسه الذين أصبحوا يسيرون البلاد والذين تقاسموا فيما بينهم مختلف المناصب العليا في الدولة, ومنذ ذلك بدأت تتشكل ما يمكن تسميتها بالمناصب الوزارية على نفس النحو تقريبا الذي بقيت عليه خلال مرحلة الدايات[3], ولم يرضى رمضان باشا بالقطيعة التي كانت بين الحكومة الجزائرية والباب العالي وحتى الجزائريون ندموا كثيرا ولهذا أرسل لهم وفدا آخر لطلب الشفاعة من السلطان وقد اعترفوا بذنبهم , وبالرغم من ذلك فإن الصدر الأعظم كوبرولو محمد باشا لم يستمع ولم يغفر لهم ولم يقبل شفاعتهم[4], وهكذا بقي الوضع متوتر للغاية بين الطرفين وظل الوفد منتظرا إلى أن يصلح الأوضاع ويطلب السماح من الصدر الأعظم الذي كان في تلك الفترة صاحب سلطة وصلاحية وإن قلنا أكثر من سلطان .

1- عبد الرحمان الجيلالي , المصدر السابق, ص 158 .

2- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق ' ص 389 .

3- أمين محرز، المرجع السابق، ص 62 .

4- عزيز سامح ألتر ' المرجع السابق , ص 388 .

لقد تميزت فترة الآغوات القصيرة سلسلة من الاغتيالات, حيث قتل رمضان آغا الذي لم يطل عهده كثرا في أوت 1661م[1], وخلفه في الحكم شعبان آغا ولقد كان رجلا مدبرا ولكنه كان أسير شهواته[2], ولقد عمد على وضع إبراهيم باشا داخل أربعة جدران لقتله اختناقا لأنه حاول قتله[3], كما وصلت الأخبار للديوان الجزائري حول وفاة كوبرلو محمد باشا وتعيين ابنه فاضل احمد باشا صدرا أعظم مكانه , فكلف الجزائريون القبطان قرة مصطفى باشا بالذهاب إلى اسطنبول وحملوه الهدايا الثمينة والتحف الجميلة, فعفا عنهم بعد أن تعهد القبطان له بان الجزائريون سوف يلتزمون بأوامره وبناء على ذلك أرسل السلطان القابجي بوشناق إسماعيل باشا آغا بطوخين أمير أمراء الجزائر سنة 1072هـ / 1661م ولقد قبل الجزائريون الباشا الجديد ممثلا للسلطان وسلموه إدارة خاصة به, وقد خرج الجميع لاستقباله لكنهم قرروا أن الأحداث الأساسية للإدارة تكون بيد آغاهم[4], وعليه ولى السلطان القابجي بوشناق إسماعيل باشا بن خليل في منصب إمرة الأمراء على الجزائر ولقد اصطحب الوفد الوالي الجديد في طريق العودة حيث وصلوا إلى الجزائر في 6 ماي 1662م, ولقد استقبل ببالغ الحفاوة والاحترام من طرف الجزائريين ورتبت لإقامته غرف وأجنحة بقصر الجنينة, كما جرى عليه الاتفاق قبلا وأجرى له الديوان راتبا وتكلف بجميع النفقات ومؤن أهل بيته وخاصته, شرط ألا يتدخل في شؤون الدولة ولا يخرج إلا بترخيص من الديوان[5] .

كان إسماعيل قد حمل معه أمرا سلطانيا بإرسال عمارة لدعم الجهاد الحربي العثماني في جزيرة كريت, وبالفعل توجهت بعض السفن الجزائرية إلى الشرق في 1662م رغم أن الايالة

1- صالح عباد , المرجع السابق , ص 128 .

2- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق , ص 389 .

3- محمد المبارك الميلي , المرجع السابق , ص 172 .

4- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق , ص 388 .

5- أمير محرز , المرجع السابق , ص 70 .

في حرب مفتوحة مع عدة دول أوروبية وعلى الرغم كذلك من غرق 11 سفينة و 9 غنائم في الميناء شتاء تلك السنة بفعل زلزال بحري أحدث موجات مد عاتية .

وهذا يدل على مبادرة الجزائريين لإبداء الولاء وحسن النية وبدء صفحة جديدة وتحسين العلاقة مع الدولة العثمانية[1].

إلا أن عهد شعبان باش عرف بالتوتر والنزاع بين الجزائر وفرنسا, حيث أن الديوان الجزائري كان يشغل التناقضات بين المصالح لمختلف الدولة الأوروبية, في وقت كانت فرنسا تستغل الخلافات الموجودة بين الديوان الجزائري والسلطة العثمانية لتدعيم موقفها في حوض البحر الأبيض المتوسط واحتلال مواقع جزائرية تضمن الهيمنة لمصالحها كما اعتبرت الحكومة الفرنسية أن تغيير النظام في الجزائر كان نتيجة القيام بحركة تمردية في وجه السلطنة العثمانية التي تعتبرها حليفا قويا لها, ضف إلى ذلك أنها كانت تضمن حياد القسطنطينية في حال وقوع حرب بين الجزائر وفرنسا بسبب العلاقات المتوترة بين الطرفين أي الجزائر والباب العالي[2] .

لقد احتل لويس 14 مدينة جيجل قرابة 3 شهور وثم طردوهم الأهالي بعد أن كبدوهم خسائر جسيمة[3], وهكذا انتهى هذا الهجوم الذي هيأ له الفرنسيون بكل قوامهم وأسلحتهم بالذل والهزيمة, وفي هذه الأثناء تمرد الانكشاريون وقتلوا شعبان آغا وأعطوا الأغوية إلى علي آغا وكان هذا الأخير وإسماعيل باشا المعين من قبل اسطنبول لمنصب إمرة الأمراء يتمتعان بنفوذ قوي ومن أصحاب السلطة الفعلية في الجزائر[4], كان علي آغا من أكثر الآغوات الجزائريين قوة واقتدار والدليل على ذلك طول مدة ولايته التي استمرت من 1076هـ/1665م

1- أمير محرز , المرجع السابق , ص ص 70-71 .

2- محمد بن المبارك الميلي ' المرجع السابق , ص 174 .

3- يحي بوعزيز , الموجز .... , المرجع السابق , ص 44 .

4- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق , ص 395 .

إلى غاية 1082هـ/1671م[1], وهو أول من جمع بين السلطتين العسكرية والمدنية, وأعطى له التصرف المطلق في مالية الدولة وخزينتها[2], فكان أول من لقب بلقب "الحاكم" لأنه كان يسير البلاد دون أي مشاركة , وهذا إن دل على شيء فهو يدل على شجاعة وحنكة علي آغا السياسية والعسكرية.

3- نهاية نظام الآغوات :

عرفت السنوات الأخيرة من حكم علي آغا عدة هجمات أوروبية وخاصة الانجليزية التي لم تهدأ حتى حققت أهدافها, حيث في الوقت الذي كان فيه الجزائريون منشغلين بمحاربة الفرنسيين في جيجل عاد الانجليز بقيادة الأميرال توماس ألن Thomas Allen وهذه المرة توصل الطرفان إلى تسوية المشاكل العالقة بينهما على أساس معاهدة 1662م, والتي أضيف إليها بند منح القنصل حرية الانسحاب من المدينة إلى أي مكان شاء وقبل ذهابه عين ألن القبطان نيكولاس باوكر Nicholas Parker الذي شغل منصب القنصل بدل براوني الذي توفي نتيجة مرض أصابه في بداية سبتمبر على ما يبدو[3].

وفي 21 ماي 1671م سيرت حملة انجليزية بقيادة ادوارد سيراغ نحو سواحل المغرب, ولقد هاجم هذا الأسطول ميناء بجاية وأضرم النار في 12 سفينة من المراكب الرئيسية فيها, وكان رد الفعل في مدينة الجزائر اغتيال القنصل الانجليزي في مقر القنصلية , وفي شهر جويلية ظهر الأسطول الانجليزي قبالة مدينة الجزائر فأحرق 3 مراكب جديدة واغرق أخرى, كما أحدث تخريبا في رصيف الميناء , وان كانت هذه العمليات الانجليزية الشرارة التي أشعلت فتيل اضطرابات معقدة في الجزائر أدت إلى إنهاء نظام الآغوات[4] .

1- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق، ص 395 .

2- عبد الرحمان الجيلالي ,المصدر السابق , ص 165 .

3- أمين محرز , المرجع السابق , ص 84 .

4- صالح عباد , المرجع السابق , ص 132 .

لقد حمل الجزائريون الأهالي والرياس مسؤولية ما حدث على عاتق علي آغا وكان هذا الأخير من أنصار الفرنسيين, فعندها قدمت شكاوي عن موقف الرياس تجاهها قام بمعاقبتهم فقدموا شكاوي بحقه إلى اسطنبول ولاموه بإهمال البحرية لكن علي صده فألقى القبض على رؤساء المتمردين والعصاة وأعدمهم لكنه هزم أمام الأكثرية وقطع العصاة رأسه وألقوا القبض على زوجته وعذبوها بغية إخبارهم عن مكان الخزينة[1].

وبعد مقتل علي آغا عجز الديوان الجزائري في الوصول إلى تعيين آغا يستطيع إعادة الأمور إلى نصابها ولقد عين 5 آغوات أو 6 خلال 3 أيام فقط , وفي هذه الفوضى تدخلت طائفة الرياس التي لم تكن راضية على سياسة علي آغا ولقد أتهم من قبل على أنه غير مهتم بالرياس كما أغابت عليه سياسته اللينة اتجاه فرنسا .

ولقد تدخل الرياس وعينوا أحدهم دايا للجزائر وهو حاج محمد تريكي[2], ووضعوا بذلك النهاية لنظام الآغوات الدموي[3], ومما يشار إليه أن طائفة الرياس كانت تشارك في إثارة الاضطرابات ضد الآغوات كمحاولة منها لاستعادة السلطة والحكم منهم[4] وهكذا انتهت فترة الآغوات ورغم قصر مدتها إلا أنها حملت في طياتها العديد من الأحداث والتطورات .

1- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق , ص 398 .

2- عبد الرحمان الجيلالي , المصدر السابق , ص 167 .

3- صالح عباد , المرجع السابق , ص 133 .

4- يحي بوعزيز , المرجع السابق , ص 43 .

المبحث الثاني :نظام الدايات في العهد العثماني.

1- تحول نظام السلطة إلى الدايات :

بسبب الخطر المحدق الذي كان يعيشه الحاكم كانت هناك رغبة ملحة لإلغاء نظم الآغوات وإحداث نظام الدايات, وذلك بسبب خطر الاغتيال الذي يتعرض له الحاكم بصفة مستمرة[1], حيث بعد مقتل علي آغا 1671م, وقعت فوضى عارمة واضطرابات في الأوضاع الداخلية في مدينة الجزائر وقام العساكر بالهجوم على القلعة الداخلية واستولوا على ما فيها من أموال وأرزاق وفي ظرف ثلاثة أيام تبدل خمسة أو ستة آغوات[2], وفي ظل هذه الفوضى التي ضربت أطنابها في البلاد والصراعات القائمة بين الآغوات أنفسهم بسبب التنافس على السلطة وفشلهم في فرض سلطتهم[3], قام الرياس بإعلان تمردهم وعصيانهم مستغلين حالة الاضطراب التي تشهدها المدينة, وقد جاء عصيانهم على شكل انقلاب[4], ومن هنا تبدأ المرحلة الرابعة وهي مرحلة الدايات (1671-1830م).

ففي بادئ الأمر كان اختيار الداي (1671-1689م) يتم من صفوف الرياس وهذا راجع لنفوذهم وثرواتهم ومكانتهم في المجتمع, لكن بعد أن تناقصت ثروتهم وقل نفوذهم وهذا نتيجة ضعف نشاط القرصنة, أصبح الداي يختار من بين قادة الأوجاق الذين ظلوا يتقلدون منصب الداي حتى نهاية العهد العثماني (1689-1830م)[5] .

1- أحمد السليماني , المرجع السابق, ص 16 .

2- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق , ص 399 .

3- ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , ص 28 .

4- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق , ص 399 .

5- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي , الجزائر في التاريخ – العهد العثماني – , منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر , 1984م , ص 15 .

2- الاستقلال عن الدولة العثمانية :

خلال القرن السابع عشر تبلورت مصالح حكام الجزائر حول عدد من المحاور تمثلت في التخلص من التبعية للدولة العثمانية برفض التقييد بأي التزام او تعاقد تبرمها القسطنطينية مع الأطراف الأوروبية , وعدم الاعتراف بوجود حالة سلم مع أي دولة لم ترتبط معها بمعاهدة مباشرة لتؤمن لها مصالحها المشروعة[1], حي كان هذا جليا في عهد الدايات الذين استطاعوا أن يحققوا للجزائر استقلالها الحقيقي عن الدولة العثمانية[2], حيث أنه بعد اغتيال الباشا بكداش 1711م, عارض حكام الجزائر تدخل سلاطين الباب العالي في شؤونهم الداخلية كالتولية والعزل[3], لأنه قبل ذلك كان يأتيهم الباشا من عند الخليفة كل عام , فإذا انتهت السنة رجع إلى بلده يحمل مع جميع ما في الخزينة من المال فأضر ذلك بالدولة , وربما مات الباشا فيبقون في فوضى دون باشا حتى يأتي الخبر من عند السلطان , وعليه فقد أصبح السلطان يصادق على تعيين الباشا الشكلي الذي ينتخبه الديوان الحكومي في مدينة الجزائر, والذي يجلس في السلطة إلى جانب الداي ولا يحكم ولكن تعيين هذا الباشا أصبح المشكلة لدى الداي وأصبح الدايات يشعرون بوجود مضايقة ازدواجية في الحكم فأخذوا يسعون للقضاء عليه, وبالفعل تم ذلك في عهد علي شاوش سنة 1711م حيث رفض الباشا الشكلي كما وافق الباب العالي على جعل الباشا هو الداي نفسه[4].

سعى الدايات للقضاء على وساطة الباب العالي في العلاقات الخارجية , وبالفعل استطاع الداي كرد علي منع وساطة الدولة العثمانية من أجل إبرام صلح مع اسبانيا[5] .

1- جمال قنان , قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر , منشورات المتحف الوطني للمجاهد , الجزائر , 1994 , ص 39 .

2- يحي بوعزيز , المرجع السابق , ص 47 .

3- عبد الرحمان الجيلالي , المصدر السابق , ص 87 .

4- يحي بوعزيز , المرجع السابق , ص 47 .

5- المرجع نفسه, ص 47 .

وعلى الرغم من ذلك الانفصال ظلت العلاقات الجزائرية العثمانية تربطها مظاهر وأسس لا يمكن تجاهلها وهي الدعاء للسلطان على المنابر يوم الجمعة والعيد, وتلقي الهدايا وضرب العملة باسمه وإذا وقعت حرب خارجية ترسل الجزائر بقطع من أسطولها وجماعة من متطوعيها للمشاركة في الجهاد وتحت راية السلطان[1], أما عدا ذلك فالدولة الجزائرية حرة مستقلة تحارب من حاربها وتسالم من سالمها[2].

وعلى الرغم مما كان يمثله عهد الدايات من القوة الخارجية, إلا أن الأوضاع الداخلية لم تكن على ما يرام , فكانت العلاقة المتواصلة هي الطابع الذي يميز هذا العهد, كما أدى تحكم الطبقة العسكرية واحتكارها للسلطة وجعل الشعب على الهامش يتفرج في أحداث الاغتيالات المتكررة في صفوف الدايات والجنود الأتراك إلى تفشي الاضطرابات الأهلية, وكان لمحاولات الدولة العثمانية المتكررة للتدخل في الشؤون الجزائرية من اجل استرجاع سلطتها ونفوذها السابق والتأثير على مركز الدايات, وقد كثرت الغارات الأوروبية من طرف الإسبان والفرنسيين والانجليز على سواحل البلاد, برغبة الانتقام من قوة الجزائر البحرية, مما نتج عنه حالة حرب في معظم الأوقات[3] .

- الجيش في عهد الدايات :

بعد الاحتياجات التي كانت تريدها الجزائر لتدعيم صفوف جيشها, قامت السلطة الحاكمة بإرسال وفد إلى تركيا لتجنيد الجنود, إلا أن الأعضاء في الوفد الذين كانوا مكلفين بتلك المهمة لم يلتزموا بطريقة التجنيد التي كانت موجودة في العهود الأولى حيث يذكر حمدان بن عثمان خوجة الذي عاصر الفترة الأخيرة للعهد العثماني في الجزائر عن عملية التجنيد التي كانت من أسباب انحطاط البلاد حيث كان يتم إرسال مندوبين إلى أزمير يجمعون الجنود,

---

1- يحي بوعزيز , المرجع السابق , ص 48 .

2- أحمد توفيق المدني , هذه هي الجزائر, مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , 1956 , ص 71 .

3- يحي بوعزيز , المرجع السابق , ص 48 .

وبدلا من أن يتبع هؤلاء المندوبون الطريقة القديمة التي لم تكن تسمح بان يجند في الميلشيا إلا الرجال النزهاء الذين لهم جاه ومكانة, بل كانوا يفتحون أبواب الميلشيا لأي كان حتى لأناس كانوا قد أدينوا وكان يوجد من بين المجددين يهود ويونانيين[1] .

كما خلصت الوثائق العثمانية إلى صدق ما في نفس المصادر بخصوص الوضع الاجتماعي لهؤلاء المجندين, فهم بالفعل من الطبقات الدنيا , والذين كانوا يجدون كل التشجيع من طرف السلطات المحلية من أجل إبعادهم ونفيهم إلى الجزائر, ففي عام 1219هـ / 1804م وجه تقرير إلى السلطان سليم الثالث يطلب منه السماح بإرسال حوالي خمسين شخصا من الأشقياء الذين أحدثوا الفوضى وكان هدفه من التجنيد هو دفع هؤلاء إلى الجهاد وإصلاح أنفسهم[2] .

كانت سياسة التجنيد المنتهجة هذه إحدى العوامل الأساسية التي كانت وراء تدهور الأوضاع ابتداءا من أواخر القرن الثامن عشر نظرا لما ترتب عليها من نتائج وخيمة فبعدما كان الجنود يدافعون عن البلاد أصبحوا مصدر الفوضى والضعف الذي ساد البلاد , وهكذا تم المجندون من السيطرة على الحكم مما سمح لهم بتسيير شؤون البلاد حسب أهوائهم وبالتالي أصبحوا أصحاب الحل والعقد يعينون ويعزلون الحكام وفقا لأغراضهم وصارت تلك المليشيا المسلحة التي لا مبادئ لها ترتكب المخالفات ضد الرعية[3] .

كما قد ساهمت تلك الظروف التي كانت سائدة في البلاد بان يتولى الحكم مجموعة من الحكام التي تنقصها القدرة على وضع حد لتجاوزات الجنود بل أصبحت عاجزة عن حماية نفسها من مؤامرات الجنود[4] .

1- حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق، ص 149 .

2- دلباز محمد، المرجع السابق، ص 88 .

3- نفسه , ص 89 .

4- حمدان بن عثمان خوجة, المصدر السابق, ص ص 146-152 .

- عوامل سقوط نظام الدايات :

إن اكبر عامل لسقوط وضعف الجزائر كان مرتبطا حتما بالضعف الذي لحق بالدولة العثمانية التي مسها الضعف أيضا وصارت تتخبط في مجموعة من المشاكل أبرزها ضعف بعض السلاطين وانشغالهم بالترف واللهو, وتدخل الحريم في الحكم والصراع بين قيادات الجيش, وفساد الإدارة وتفشي الرشوة والمحسوبية والامتيازات الأجنبية التي كانت تخدم للتجسس عن الدولة العثمانية .

-عهد الدايات ورث عن الأنظمة السابقة مجموعة من الأزمات الداخلية من ثورات وتمردات للقبائل هنا وهناك .

- قيام صراع المؤسسة العسكرية التي كانت السبب المباشر في الاضطرابات من خلال تدخلها المباشر في تعيين الدايات وما لحق هذا من مؤامرات واغتيالات في صفوف الدايات والبايات من جهة ومحاولة تصفية الدايات للانكشارية من جهة أخرى .

- مشكلة الحدود والتدخل في الشؤون الداخلية بين دويلات المغرب وما لحقها من مواجهات عسكرية أدت في العديد من المرات في قلب نظام الحكم .

- تدخل اليهود في الشؤون السياسية وسيطرتهم على الاقتصاد مما أدى على حدوث فوضى واضطرابات[1].

- انتشار الفساد داخل المؤسسة العسكرية وشيوع ظاهرة الرشوة والمحسوبية داخل المنظومة الإدارية وارتفاع الضرائب مما احدث نقمة الرعية والقطيعة مع السلطة المحلية والمركزية.

- قيام الثورات الشعبية والتي لم تحقق أي نتيجة سوى أنها أنهكت قوة الجيش الجزائري الذي أصبح دوره الأساسي هو الحفاظ على النظام واسترجاع هيبة السلطة بعدما كان دوره حماية الحدود .

---

1 - مصطفى بن عمار , الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م) , شهادة الماجستير , جامعة الجزائر -2- , 2009-2010 , ص ص 145-146.

- ظهور الحملات الأوروبية المتكررة والمتنوعة والتي كان هدفها واحد وهو تحطيم القوة الجزائرية
- خسارة البحرية الجزائرية لسفنها الحربية في معركة نافارين 1827م .
- خلفيات ونوايا فرنسا الاستعمارية[1].

1 – مصطفى بن عمار , المرجع السابق , ص 146

المبحث الثالث : بعض نماذج التعاون العسكري الجزائري العثماني

1 – حملة فرنسا على مصر 1789م :

أظهرت الحملة التي شنتها فرنسا على مصر في 17 محرم 12013هـ / 2 جويلية 1789م عن قرب انتهاء الدولة العثمانية كقوة عظمى, كما أثبتت الحملة عجز الدولة العثمانية في حماية أراضيها في ظل التنافس الاستعماري القائم بين الدول الأوروبية كما كانت الحملة بمثابة الامتحان على مدى متانة علاقات الدولة العثمانية بالإيالات المغاربية .

وإذا كان ذلك شان الاحتلال الفرنسي لمصر 1798 – 1801م بالنسبة للدولة العثمانية فقد كان تهديدا مباشرا للإيالات المغاربية بسبب اتصالاتهم بالدولة العثمانية وبالأخص ايالة الجزائر كما كان دليل لإثبات المجال الجيوسياسي الذي احتلته, ومن هنا تتضح أهمية تضامنها مع الباب العالي من اجل تخليص مصر من الاحتلال الفرنسي[1] .

حيث كان الهجوم الفرنسي على مصر أول هجوم صليبي على ولاية عربية من ولايات الدولة العثمانية في التاريخ الحديث هذا ما دفع لإعلان الحرب على فرنسا من طرف السلطان العثماني مدركا دور الجزائر للتصدي والمساعدة للقضاء على هذه الحملة انطلاقا من الموقع الاستراتيجي للجزائر من اجل التحكم في الحركة البحرية بين شرقي وغربي المتوسط وهذا لقدرتها على التأثير في الوجوه الفرنسي في مصر, بالإضافة إلى العلاقات والمصالح التجارية لفرنسا في الجزائر[2] .

وادعت فرنسا بعد أن أرسلت منشورا في 19 ديسمبر 1798 إلى القناصل الفرنسيين في الايالات الثلاثة دعتهم فيه لإبلاغ ولاتها بان إعلان الحرب على فرنسا إلى جانب الباب العالي سيجرهم إلى التحالف مع بريطانيا وروسيا اللتين تسعيان للسيطرة على البحر المتوسط

1–حنيفي هلايلي , المرجع السابق , ص 122 .

2– عروك رنجة، المرجع السابق، ص 61 .

مما يقلص نفوذ الإيالات المغاربية ويحرمها من مصادر دخل غنية[1], والظاهر أن الموقف الجزائري من طلب الباب العالي كان وسطا فلم يكن هناك رفض قطعي ولا قبول, فمن المحتمل أن الداي وضع بعض الشروط لتلبية الطلب العثماني[2], ففي العادة كان الداي هو من يقوم عند توليته بإرسال مبعوث إلى الباب العالي محملا بالهدايا ليتمس فرمان التولية من السلطان وكان من المرات القليلة التي يتم فيها تجاوز هذا التقليد لكن هذه المرة السلطان هو الذي أرسل وفدا إلى الجزائر يحمل فرمان التولية وهذا ما يدل على أن الجزائر وضعت شروطا من اجل إعلان الحرب على فرنسا[3], كما أمر بإلقاء القبض على كل الرعايا الفرنسيين الموجودين بتراب الإيالة وسجنهم والاستيلاء على سفنهم[4], وبعد ذلك قام الداي ببعث رسائل لكل من تونس وطرابلس والمملكة العلوية, مبلغا إياها بالقرار الذي اتخذته الجزائر كما دعاها إلى اتخاذ نفس القرار والموقف[5], ولذلك فان الايالة ملزمة بالمشاركة في الحرب التي تخوضها الدولة العثمانية ومعها بريطانيا ضد فرنسا وذلك بإرسال سفنها الحربية إلى البحر المتوسط لمشاركة الأسطولين العثماني والبريطاني في البحث عن السفن الفرنسية واحتجازها أو إحراقها[6] .

قامت ستة سفن من ميناء الجزائر بالبحث عن السفن الفرنسية بأمر من الباشا بالقبض على جميع الفرنسيين حتى وان وجدوا على متن السفينة وكان هذا من 25 ديسمبر 1798م, إلا أن في مطلع عام 1799م انتشر خبر إعلان الجزائر الحرب على فرنسا في مدينة مرسيليا

1- حنيفي هلايلي , المرجع السابق , ص ص 123-124 .

2- جمال قنان , العلاقات الجزائرية الفرنسية 1790-1830 , المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار , 2005 , ص ص 97-98 .

3- نفسه , ص 98 .

4- حنيفي هلايلي , العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الايالة 1815-1830 , دار الهدى , عين مليلة , الجزائر , 2000 , ص 62 .

5- جمال قنان , المرجع السابق , ص 128 .

6- عروك رنجة , المرجع السابق , ص 63 .

وأثار هذا الخبر خوفا شديدا بين البحارة, وصار من المقدر على السفن الخروج من ميناء مرسيليا خوفا من السفن الحربية الجزائرية المتواجدة على السواحل الفرنسية, وفي افريل من نفس العام من نفس العام اعترضت السفن الجزائرية سفينة فرنسية قادمة من جزيرة " كورفو" إلى ميناء " تولون" وعلى متنهم عدد من الضباط والجنود مع عائلاتهم وازدادت بعد ذلك الضغوط على فرنسا حتى قلت المواد في موانئها وصعب عليها الاتصال بقواعدها العسكرية في مالطا ومصر[1], وفي سنة 1800 أرسل نابليون بونابرت مبعوث إلى الداي مصطفى باشا لعقد السلم وقد وافق الداي على الصلح فقدمت له فرنسا مليون فرنك فرنسي هدية له وقد أمرت بإطلاق سراح أكثر من ألفي أسير مسلم كانوا محتجزين في جزيرة مالطة, كما اصدر فرمان الديوان أمرا قطعيا إلى الجزائر بشان دوام الحرب واستمرارها ضد فرنسا, والا سيقوم السلطان العثماني بإرسال أسطول لإحراق شمال إفريقيا, ومنه فان الصلح من فرنسا والجزائر لم يدم أكثر من أربعة أشهر ليرجع بعدها الداي مستدعيا القنصل الفرنسي وأمره بالرحيل بأمان إلى فرنسا مطبقا أمر السلطان[2] .

2- الحملة الانجليزية الهولندية 1816 :

بعد اجتماع الساسة الأوروبيين في مدينة فيينا بالنمسا لمعالجة بعض القضايا وكانت أهمها قضية الاسترقاق والقرصنة البحرية[3], حيث سلم الأميرال سيدني سميث مذكرة إلى المؤتمرين مشيرا فيها إلى الأخطار الناجمة عن الملاحة والتجارة في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي كما بين كيفية القضاء على القراصنة الأتراك وهذا راجع للخبرة التي اكتسبها من الحروب, كما دعا الدول الأوروبية لتكوين قوة بحرية من اجل مراقبة سواحل البحر المتوسط ومطاردة

1- خليفة حماش , المرجع السابق , ص ص 208-209 .

2- عزيز سامح ألتر , المرجع السابق , ص 576 .

3-يحي بوعزيز , علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك اوروبا (1500-1830) , دار البصائر , الجزائر , 2009 , ص 120 .

القراصنة كما قام بتأسيس جمعية سماها " جمعية الفرسان محرري الرقيق الأبيض في شمال إفريقيا "[1] .

حيث قامت هولندا بإرسال أسطولها الحربي إلى الجزائر في شهر جويلية 1815م من اجل تجديد معاهدتها مع الجزائر, لكن الداي عمر باشا رفض التفاوض مع الهولنديين وهذا بسبب عدم دفعهم للإتاوات المتأخرة, وأثناء هذه الظروف ظهر الأسطول الانجليزي في ميناء الجزائر, هنا قام الداي عمر ببعث رسالة إلى السلطان محمود الثاني في 15 ماي 1815م يخبره فيها بتحركات الأساطيل الأوروبية في البحر المتوسط والنوايا السيئة تجاه الجزائر, منددا بضرورة تقديم المساعدة بالجند والسلاح, فقام السلطان بإرسال مبعوث إلى الايالات المغاربية مخبرا إياه بالأخطار والالتزام بالقضية لمواجهة أي هجوم عسكري[2], إلا أن انجلترا حملت الدولة العثمانية مسؤولية ما يقوم به البحارة الجزائريون في البحر المتوسط, كما استاء الباب العالي من تدخل الدول الأوروبية في شؤون الايالات المغاربية واعتبر ذلك تدخل في مصالح وممتلكات الدولة العثمانية[3] .

بعد سياسة الوفاق الأوروبي قامت كل من انجلترا وهولندا بشن هجوم بحري على الجزائر من 2-6 شوال 1231هـ/26-30 أوت 1816م[4], حيث شاركت 25 قطعة بحرية منها بعض السفن الهولندية مجهزة بخمس مائة وستون مدفعا فيما نجح اللورد اكسموث في صد خطر مرسى الجزائر عندما أظهر رغبته في التفاوض مع الداي عمر باشا بشان تعليمات الرابطة

1- ارزقي شويتام , المرجع السابق, ص 147 .

2- حنيفي هلايلي , العلاقات الجزائرية الاوروبية , المرجع السابق , ص 24 .

3- محمد بن جبور , البحرية الجزائرية في آواخر العهد العثماني , مجلة عصور , ع 12 , جامعة وهران , 2009 , ص 124 .

4- عبد الجليل التميمي , المرجع السابق , ص 239 .

البحرية الأوروبية حيث أن الداي رفض الشروط فبادرت السفن الانجليزية المتسللة إلى الجزائر بإطلاق النار على الأسطول البحري[1] .

وفي اليوم التالي من المعركة قبل عمر باشا إمضاء شروط الصلح التي أملاها اللورد اكسموث حيث وقع على إطلاق سراح أكثر من ألف ومائتي أسير مسيحي بدون أي فدية[2], ونظرا للضربة العنيفة التي تلقتها الايالة إلا أنها لم تتوقف عن نشاطها البحري سوى مدة ثلاثة أشهر وأرسلت في 07 محرم 1232هـ/ 27 نوفمبر 1816م سفنها لتجول في البحر المتوسط وبعدها أعلن الباب العالي عبر رئيس الكتاب أن السلطان العثماني لن يتخذ أي إجراء على نظم الايالات بسبب الشكوى المقدمة من طرف الدول الأوروبية .

وفي بداية عام 1817 تم إعداد ثلاث سفن من طرف الباب العالي محملة بالعتاد الحربي والجنود لإرسالها إلى الجزائر[3], أما عن أسباب هزيمة الجزائر فهناك من يقول " لقد انهزم الجزائريون لأنهم لم يكونوا قد استكملوا الاستعداد ولان القائد البريطاني استطاع أن يقضي على أسطولهم فيما يرى طرف آخر أن سبب الهزيمة يرجع لتحايل اللورد اكسموث وانخداع السلطات المحلية له بعد رفعه للراية البيضاء التي تشير إلى السلام[4] .

- حرب اليونان " معركة نافارين 1827م " :

استمدت الثورة اليونانية أفكارها من مبادئ الثورة الفرنسية 14 جويلية 1789م وهي الثورة التي جاءت بعد استياء اليونانيين من الوجود العثماني[5], حيث كان اليونان يشكل جزء من الديار الإسلامية ولكن زعماء النصارى سرعان ما شرعوا في تأسيس جمعيات سرية داخل اليونان وفي روسيا وغيرها وكان الهدف من ذلك إحياء الإمبراطورية البيزنطية القديمة,

---

1- ناصر الدين سعدوني , تاريخ الجزائر في العهد العثماني , المرجع السابق , ص 99 .

2- مبارك الميلي , المرجع السابق , ص 283 .

3- خليفة حماش , المرجع السابق , ص 221 .

4- رنجة عروك , المرجع السابق , ص 68 .

5- محمد بن جبور , المرجع السابق , ص 118 .

وكانت تطالب بالانفصال عن الدولة العثمانية وقد عرفت هذه الحركة في معركة نافارين والتي قدمت فيها الجزائر المساهمة والمساعدة للدولة العثمانية وهي في أصعب ظروفها حينما أرادت الدول الأوروبية تقسيم ممتلكاتها[1] .

ففي عهد الداي الحاج علي باشا 1230هـ/1814م توجهت السفن الجزائرية للمساهمة في الحد من الخسائر التي ألحقها الثائرون اليونانيون بأسطول الدولة العثمانية ومن أهم العمليات الحربية للسفن الجزائرية في الفترة التي سبقت معركة نافارين, حيث قامت ست سفن جزائرية بقيادة الرياس حميدو وعلي طاطا واحمد الحداد وقارة إبراهيم واستولت على أربع سفن لليونان , وبعد ذلك لم يتوقف الجهاد الحربي الا عند حكم عمر باشا لاشتغال السفن الجزائرية بأحداث عدة مثل الحملة الانجليزية 1816م[2], والتي بعد انتهائها تم إمضاء معاهدة الصلح بين الحكومتين الجزائرية والبريطانية أواخر شهر جويلية من عام 1824م أرسل قابودان داريا الى الدولة العثمانية محمد خسروا باشا فرمانا للداي حسين باشا في أواسط شهر مارس 1825م, يطلب منه إرسال السفن الحربية الجزائرية إلى بحر ايجة[3] .

استجاب الداي حسين باشا للرسالة السلطانية حيث جهز ستة سفن حربية[4] مختلفة الأحجام والقوة والأنواع , وأبحرت السفن باتجاه بحر ايجة في 4 افريل 1825م, حيث التحقت بالأسطول العثماني في ميناء نافرين في شهر ماي من نفس السنة حيث شاركت السفن الجزائرية في معارك عنيفة إلى جانب الأسطول العثماني ضد اليونانيين مساهما في تحقيق الانتصارات والاستيلاء على مدينة نافرين في 25 ماي 1825م, واستمرت سفن الأسطول الجزائري في عملها إلى جانب الأسطول العثماني, في عمليات المراقبة للسفن اليونانية

1- رنجة عروك , المرجع السابق , ث 69 .

2- ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , ص 358 .

3- عبد القادر فلوح , العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1818-1830م) على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية , مذكرة لنيل شهادة الماجستير , جامعة الجزائر -2- بوزريعة الجزائر , 2009-2010 , ص 71 .

4- نفسه ص 71 .

ودخولها في العديد من المعارك ضدها في بحر ايجة إلى غاية شهر ماي من عام 1826م[1], ومكنت قطع الأسطول الجزائري من الأسطول العثماني حوالي أربعة أشهر إلا أن قائد القطع الحربية الجزائري أمر السفن الحربية الجزائرية بالعودة إلى مدينة الجزائر دون إخبار قائد البحرية العثمانية والذي غضب من هذا التصرف, وكانت هذه العودة بسبب نقص المئونة والذخيرة وبطلب من داي الجزائر[2], وقد راسل وزير الحربية العثماني السلطان مبلغا إياه بما حدث مقترحا عليه فرض عقوبات عسكرية على الجزائر بحرمانها من القيام بعمليات التجنيد, إلا أن السلطان رفض اقتراح الوزير وهذا لأن الجزائر تتعرض باستمرار إلى الاعتداءات العسكرية الأوروبية حيث كان السلطان يعلم بالمؤامرات التي يقودها سفراء الدول الأوروبية في اسطنبول كما قام بإرسال رسالة سلطانية يؤكد فيها أن هذا التصرف يضر بالتضامن الإسلامي ومكانة الجزائر لدى الباب العالي[3] .

والتزاما من الداي حسين باشا للوقوف بجانب الدولة العثمانية في حربها قام بإرسال ستة سفن جزائرية إلى اليونان منها غيلوطات مسلحتان بثمانية وعشرين مدفعا , كان لهذه القطع البحرية شرف المشاركة في الجهاد الإسلامي في معركة نافارين والتي كانت نتيجتها تحطم الأسطول بالكامل فلم تنج منه سوى سفينتان توجهتا إلى الإسكندرية بعد تعذر رجوعهما غلى الجزائر بسبب الحصار الذي أقامته فرنسا على الجزائر في 16 جوان 1827م[4] .

وبعد انتهاء المعركة في 26 أكتوبر 1827م وانهزام الدولة العثمانية تم عقد هدنة بين إبراهيم باشا والأميرال كورد راغتون حيث تم سحب قواته من نافرين في ربيع عام 1828م وتسليم تحصينات الميناء إلى الجنرال الفرنسي " ميرون " الذي أوكل له حكم قاعدة نافرين مؤقتا, إلى أن تمكن اليونانيين من تحرير كامل المورا في ظرف شهرين قبل انسحاب الفرنسيين من

1- ناصر الدين سعيدوني , ورقات جزائرية , المرجع السابق , ص 360 .

2- نفسه , ص 360 .

3- عبد القادر فلوح , المرجع السابق , ص ص 71-72 .

4- ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , ص 360 .

المنطقة في اوت 1829م[1], فالمساهمة الجزائرية في الحرب اليونانية بصفة عامة ومعركة نافارين بصفة خاصة كانت بالخبرة التي يمتلكها بحارتها بالإضافة للحضور القوي لسفنها الذي له دلالة ومعنى التعاون والتضامن الجزائري مع الدولة العثمانية والدور الذي لعبته الجزائر في الحوض المتوسط وفرض سيطرتها وهيمنتها الدولية وهذا راجع للروابط الروحية التي كانت تظهر بين الأقطار الإسلامية .

1- ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , ص ص , 363 .364 .

أسفرت دراستنا لموضوع العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية1519م-1830م عن جملة من النتائج حاولنا إدراجها كالتالي:

- إن التجزؤ والتفكك الذي آلت إليه الجزائر في مطلع القرن 16 م قد شجع الإسبان الذين استكملوا

وحدتهم السياسية وقضوا على آخر معقل للمسلمين في غرناطة عام 1492 م على غزو الشواطئ الجزائرية، وهذا من أجل اتخاذها كبوابة للتوغل في إفريقيا، مستغلين بذلك النزاع الذي كان قائما بين الإمارات المستقلة آنذاك، ولهذا فإن الدولة الزيانية في آخر أيامها كانت قد أنهكتها الحروب الداخلية سواء مع الإمارات المستقلة عنها أو مع الدول المجاورة لها، بحيث أصبح سلاطين الدولة الزيانية يستنجدون بالإسبان ويتحالفون معهم من أجل البقاء في الحكم، وهذه الظروف كانت وراء ظهور العثمانيين في هذه المنطقة.

- إن الوجود العثماني في الجزائر كان نتيجة حتمية ولم تخطط الدولة العثمانية لذلك كما تداعته بعض المصادر سواء الغربية أو حتى المحلية على أنه مشروع مخطط له، وهذا نظرا للظروف التي كانت تعيشها آنذاك منطقة المغرب الأوسط داخليا من صراع وضعف الإمارات داخليا وخارجيا الخطر الإسباني الذي كان يهددها في كل لحظة، ظهر الإخوة بربروسا وخير الدين كمدافعين عن الراية الإسلامية والمسلمين في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

- إن الأوضاع السيئة التي كانت تعيشها الجزائر في بداية القرن 16 م وتفاقم الخطر الصليبي خاصة بعد احتلال أغلب مدنها الساحلية، جعلتها تستنجد بالإخوة بربروسا الذين ذاع صيتهم في المدن الساحلية الشرقية للمغرب الأوسط التي كانت تحت وطأة الاحتلال الإسباني، وهكذا استنجد أهالي مدينة الجزائر بالإخوة بربروسا الذين لبوا الطلب وقرروا مساعدتهم بالاستعانة ببعض القبائل الجزائرية لصد العدوان الصليبي، وبفضل جهودهم المبذولة استطاعوا إبعاد الخطر الإسباني عن وهران وتلمسان وباقي المناطق الجزائرية.

- بعد استشهاد عروج قرر خير الدين سلك سياسة جديدة تقضي بمبايعة أعيان وسكان مدينة الجزائريين له، وإقناعهم بالانضمام إلى الدولة العثمانية، التي سوف تكسبهم الدعم المعنوي

والمتمثل في إيجاد الصبغة الشرعية في إقامة دولتهم بالجزائر، والدعم المادي (المال والسلاح) وخاصة القوة العسكرية التي كان خير الدين آنذاك بحاجة ماسة إليها من أجل صد أي هجمة أوربية تقام ضد السواحل الجزائرية.

– كان أول إتصال بين الدولة العثمانية والجزائر بإرسال السلطان العثماني سليم إلى خير الدين قوة عسكرية من أجل صد الحملات الأوربية الموجهة ضد الجزائر مع فرمان التولية والتي بها أصبحت الجزائر ضمن الممتلكات العثمانية، وكانت هذه المساعدة أول إتصال يجمع بين الطرفين، و بتأسيس هذه الإيالة أضحت مدينة الجزائر القاعدة الأساسية للعمليات العسكرية التي يقوم فيها الأتراك ضد المد الإسباني وعين فيها خير الدين أول حاكم للبايلربايات.

– يعتبر عصر البايلربايات من أزهى عصور الحكم العثماني بالجزائر، حيث ازدهرت البلاد والدليل على ذلك طول المدة التي وصلت حوالي 70 سنة، وكان الحاكم يعين من طرف السلطان والحكم كان في يد رياس البحر الذين بفضلهم حررت عدة مناطق وقضوا نهائيا على الاحتلال الإسباني في الجزائر، عدا مدينة وهران التي سيتم فيها الفتح خلال القرن الثامن عشر (1791م–1792م) كما حررت تونس وطرابلس اللتان أصبحا تابعين للدولة العثمانية، ومن أهم مميزات هذا العهد:

* ظهور الجزائر كوحدة سياسية وجغرافية وتحددت معالمها، وهذه الخطوة بالذات تعتبر حدثا هاما أو انقلابا تاما في تكوين الدولة الجزائرية الحديثة.

* كانت الجزائر وفية في علاقاتها مع الباب العالي والسلطان امتازت بالاستقرار والتبعية التامة، حيث أنها لم تقم بأي ثورة ضدها، ضف إلى ذلك فإن هذه الفترة كانت فترة تأسيس وجهاد.

– وأن العلاقات العسكرية بين إيالة الجزائر والدولة العثمانية التي دامت أكثر من ثلاث قرون تميزت بالتعاون للدفاع عن الإسلام والمسلمين للوقوف في وجه الغزو المسيحي الإسباني على سواحل القارة الإفريقية، وقد ظلت هاته العلاقات متلاحمة ضد أي تكتل أو خطر يهددها طوال فترة الحكم العثماني للجزائر، ورغم أن الجزائر عرفت في الفترة الأخيرة نوعا من الاستقلال عن

الدولة العثمانية خاصة في تعاملاتها الخارجية إلا أنه لم يكن استقلالا مطلقا لأنه بقيت مظاهر وأسس حدت منه وكشفت مدى الولاء والتعاون بينهما وقد ظهر ذلك جليا في :

- النظم السياسية والعسكرية الجزائرية التي دلت على مدى تشابه واستمرار النظام المعمول به في الأستانة، وتجسد أيضا من خلال الولاء للسلطان باعتباره الخليفة الشرعي الذي يبارك أعمالهم، فكانت العملة تضرب باسمه وتنوه بمكانته إضافة إلى خطب الجمعة التي تلقى باسمه.
- واعتبار تبادل الهدايا في مختلف المناسبات عاملا أساسيا في ربط الإيالة بالباب العالي، كما أنها وجه آخر ساه بشكل كبير في تجهيز المعدات العسكرية من طرف الدولة العثمانية.
- كما كان لعملية التجنيد في أقاليم الدولة العثمانية أهمية في استمرارية هذه العلاقات.

– إن حجر الأساس الذي كانت تقوم عليه الإيالة الجزائرية هو المؤسسة العسكرية بشقيها الجيش البحري والجيش البري النظامي الانكشارية وغير النظامي الذي يضم الكراغلة وقبائل المخزن، وكانت تتشكل الفرق من عناصر غير جزائرية وكانوا يجلبون من مناطق تابعة للدولة العثمانية، ولقد كان يمنع على الجزائريين الاشتراك فيها خوفا من التمرد والانفصال عنها في أية لحظة.

– أما الجيش البحري فتكون أساسا من عناصر مختلفة ولم تراع فيه الجنسيات على عكس الجيش الإنكشاري فمنهم جزائريين وموريسكيين وأعلاج وغيرهم، ولقد أعطت لها أهمية بالغة في تلك الفترة والدليل على ذلك أنها كانت هي المسيطرة على الحكم في الجزائر لأكثر من عهد وهذا سبب خلافها الدائم مع الإنكشاريين، ولقد ساهمت البحرية في تعمير الخزينة من غنائم وأسرى من جهة، وفي الدفاع عن الإيالة وعن مناطق المغرب الإسلامي من جهة أخرى، وحاولت تحريره من الاحتلال الإسباني، كما دافعت عن مصالح الدولة العثمانية وشاركت في حروبها منذ انضمامها إليها وإلى غاية حرب البنادقة عام 1633م، والتي أحدثت منعرجا حاسما في تاريخ البحرية الجزائرية وتوترت العلاقات العسكرية بين الطرفين، حيث رفضت

الجزائر المشاركة في الحروب العثمانية إلا بعد تقديم ضمانات لهم وترد خسائرهم، ولقد كان لهذه الوقعة أثر بالغ حيث كشفت عن التناقضات والاختلافات الموجودة بين الإيالة الجزائرية والباب العالي، إلا أن العلاقات العسكرية بقيت مستمرة بين مد وجزر إلى غاية انتهاء الحكم العثماني بالجزائر حتى بعد أن عرفت الجزائر في الفترة الأخير نوعا من الاستقلال عن الدولة العثمانية خاصة في تعاملاتها الخارجية إلا أنه لم يكن استقلالا مطلقا لأنه بقيت مظاهر وأسس حدت منه وكشفت على مدى الولاء والتعاون بينهما خاصة الدور الكبير الذي لعبته والدور الكبير الذي لعبته البحرية الجزائرية في استرداد واسترجاع الكرامة العثمانية في الحوض المتوسط.

– وعلى العموم فإن علاقة الجزائر مع الباب العالي في عهد البايلربايات والباشوات كانت علاقة ولاء وتبعية، كما كان عهد جهاد وتضحية، أما في عهد الآغوات والدايات فلقد أخذت العلاقات مجرى آخر حيث راحت إيالة الجزائر تضع مصالحها وتضعها في المقام الأول قبل مصالح الدولة العثمانية، والدليل على ذلك ربطها لعلاقات مع الدول الأجنبية ومنها فرنسا دون الرجوع إلى الباب العالي أي بصورة شبه مستقلة، ولكن بقيت العلاقات مستمرة رغم هذه التناقضات والاختلافات، و على الرغم من هذا فإن إيالة الجزائر لم تخرج عن طوع الدولة العثمانية.

– كما تجدر الإشارة إلى تعرض الحكم العثماني في الجزائر إلى هزات عنيفة غيرت من مجرى العلاقات السياسية بين الطرفين خاصة بعد ثورة الكراغلة وساءت أكثر بعد معركة لافالون التي وعد السلطان بتعويض الخسائر الناجمة عن هذه المعركة لكنه لم يفعل، ما جعل الجزائر تعمل على معارضة كل التعليمات الواردة من الأستانة، ضف إلى ذلك فإن الجزائر في هذه الفترة قد تمتعت بنوع من الاستقلالية عن الباب العالي حيث أصبحت تعقد معاهدات مع الدول الأوربية دون الرجوع إليها أو مشاورتها فيها، وخاصة مع بداية تسرب النفوذ الفرنسي إلى الجزائر، نتيجة لعلاقات الصداقة التي كانت تربط الدولة العثمانية مع حكام فرنسا، وتعود العلاقات الطيبة إلى أيام السلطان سليمان القانوني وفرانسوا الأول، ولقد حصلت فرنسا على إثرها على عدة امتيازات داخل الإيالة وبالتالي النهاية المأساوية التي ستكون باحتلال فرنسا للجزائر.

–وتبقى هذه الفترة فترة استثارة بالنسبة لتاريخ الجزائر العام وان اعتبرته المصادر الفرنسية الحلقة المظلمة والمجهولة من تاريخ المغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، ولكن الرابط الأهم الذي كان يجمع الجزائر والدولة العثمانية طيلة وجودها في الجزائر هو الرابط الديني والذي من أجله ألغوا أي خلاف سياسي أو عسكري.

وفي الأخير نقول بأن هاته الدراسة قد مست جزءا من طابع العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية لكن الموضوع عميق عمق العلاقات بين الدولتين ولازال يحتاج إلى دراسة وبحث معمقين.

كما خلصنا إلى بعض المقترحات وهي :

- الاهتمام بالأرشيف الوطني لهاته الحقبة وكذا الأرشيف المغاربي والأرشيف الوطني بتركيا.
- وكذا تشجيع البحث العلمي في هذا المجال وترجمة المصادر الأجنبية التي تؤرخ لهاته الفترة المنيرة من تاريخ الجزائر الحديث.

قائمة المصادر والمراجع :

1/ المصادر :

أ- باللغة العربية :

1- ابن أبي الدينار، المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس، ط1، مطبعة دولة تونس، تونس، 1869م.

2- ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م، ج2.

3- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة ، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، م.و.ف.م، الجزائر، د.س.

4- الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، 1982م.

5- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1815-1824م)، تح وتع وتق اسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م.

6- المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، تح إحسان عبد القدوس، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م.

ب- باللغات الأجنبية :

1 -De Paradis, Jean-Michel Venture, Alger au XVIIIe (18) siècle, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire-Editeur, Place du Gouvernement,1898 .

2 -De Haedo (Fray Diego), Topographie et Histoire Générale D'Alger, Trad Dr Monnereau et A.Berbrugger, Editions Bouchene, Alger,1998.

2/ المراجع :

أ- باللغة العربية :

1- أوغلو خليل ساحلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانين، تق أكمل الدين إحسان أوغلو، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، اسطنبول، 2000م.

2- بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت، الجزائر، ط2، 1981م.

3- بوحوش عمار, التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, 1997م.

4- بوعزيز يحي, الموجز في تاريخ الجزائر, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 2007م, ج2.

5- بوعزيز يحي, علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا (1500-1830), دار البصائر, الجزائر, 2009م.

6- جحيش محمد : تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات ، وزارة الثقافة، تلمسان، الجزائر، 2011م.

7- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م، ج1.

8- سامح ألتر عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة المغربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989م.

9- سبنسر ويليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق عبد القادر زبايدية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980م.

10- سعيدوني ناصر الدين, النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830) الشركة الوطنية للنشر, الجزائر، 1979م.

11- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م.

12- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

13- سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبدلي, الجزائر في التاريخ – العهد العثماني – , منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر, 1984م.

14- سليماني أحمد, النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني, مطبعة دحلب, الجزائر, 1993م.

15- سي يوسف محمد ، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2009م.

16- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العثماني حتى الغزو الايطالي، تر و تح وتق، محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قايونس، ليبيا، 1994م.

17- شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، ت جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، 1991م.

18- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)،ط1، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

19- عمورة عمارة, الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م, دار المعرفة, الجزائر, 2009م, ج1.

20- عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، نشرية كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة، 1965م.

21- العسلي بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م.

22- غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007م.

23- قداش محفوظ، الجزائر في العهد العثماني، تر بن البار امحمد، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م.

24- قنان جمال, قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر, منشورات المتحف الوطني للمجاهد, الجزائر, 1994م.

25- قنان جمال, العلاقات الجزائرية الفرنسية 1790- 1830, المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار, الجزائر، 2005م.

26- الكعاك عثمان, موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي, دار الغرب الإسلامي, 2003م.

27- المدني أحمد توفيق, هذه هي الجزائر, مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , 1956م.

28- المدني أحمد توفيق, حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792), دار البصائر, 2007م.

29- الميلي بن مبارك محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م،ج3.

30- هلايلي حنيفي, أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني , دار الهدى الجزائر , 2008م.

31- هلايلي حنيفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007م.

32- هلايلي حنيفي, العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الايالة 1815-1830, دار الهدى, عين مليلة, الجزائر, 2000م.

33- وولف ب جون, الجزائر وأوروبا 1500 – 1830 ت.ر أبو القاسم سعد الله, دار الرائد, الجزائر ،2009م.

ب- باللغات الأجنبية :

1- Belhamissi Moulay, Les Captifs Algeriennes et L'Europe Chretienne de Histoire 1518-1830, ENAL, Alger, 1983.

3/ الدوريات :

أ- باللغة العربية :

1- جويبة عبد الكامل, تاريخية العلاقات الجزائرية العثمانية عسكريا وسياسيا , الملتقى الدولي الثاني : العلاقات الجزائرية التركية , ج1 , جامعة بسكرة , 18-19 فيفري 2014.

2- بن جبور محمد, البحرية الجزائرية في آواخر العهد العثماني , مجلة عصور , ع 12 , جامعة وهران , 2009م.

3- حماش خليفة، تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 2، مارس2003.

4- دراج محمد, تأسيس ايالة الجزائر , مجلة العصور , العدد 16-17 , جامعة وهران , 2010م.

5- دراج محمد، بلال مريم، العلاقات العسكرية بين الدولة العثمانية وإيالة الجزائر 1520-1830م، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج4، العدد 2، سبتمبر 2021م.

6- سيدهم فاطمة الزهراء : موارد الإيالة الجزائرية المالية في مطلع القرن التاسع , مجلة كان التاريخية , ع13 , 2011م.

7- كنتور رابح ، الجيش الانكشاري في الجزائر بين 1519 و 1830م، مجلة أفكار وآفاق، مج 9، ع2، 2021م.

ب- باللغات الأجنبية :

1 - Jean Deny, les registres de solde des janissaires conserves a la bibliothèque nationale d'Alger, in Revue Africaine ,(N 61).

4/ الدراسات والأطروحات الجامعية :

1- حماش خليفة إبراهيم, العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1830-1978) , رسالة ماجستير , تاريخ حديث ومعاصر , جامعة الإسكندرية , 1988م .

2- حمادي سميرة ، علج علي باشا أمير أمراء الجزائر (1508-1587م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة مسيلة، 2015-2016م.

3- دلباز محمد، الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني على ضوء دفاتر التشريفات – ترجمة وتعليق –، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م.

4- رحموني عبد الجليل ، اهتمامات المجلة الافريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، (2014-2015م).

5- سحابات زهيرة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية (1518-1671م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م.

6- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006م.

7- عروك رنجة, العلاقات السياسية والعسكرية بين الجزائر والدولة العثمانية (1791-1830) , مذكرة ماستر, جامعة محمد خيضر , بسكرة , 2014-2015م .

8- بن عمار مصطفى, الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م), شهادة الماجستير, جامعة الجزائر -2- , 2009-2010م.

9- فلوح عبد القادر, العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1818-1830م) على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية, مذكرة لنيل شهادة الماجستير, جامعة الجزائر -2- ، بوزريعة، الجزائر, 2009-2010م.

10- محرز أمين، الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

11- معاشي جميلة، الإنكشارية والمجتمع بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م.

5/ الويب والمواقع الإلكترونية :

1- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ar.m.wikipedia.org /16مارس 2022م، 16:23سا.

البسملة

الإهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة .....أ- ك

الفصل التمهيدي : التقارب الجزائري العثماني 15

المبحث الأول : بداية العلاقات الجزائرية مع الباب العالي 16

المبحث الثاني : تبعية الجزائر للدولة العثمانية 19

المبحث الثالث : مظاهر ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية 22

الفصل الأول : العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية في عهد البيلربايات والباشوات 27

المبحث الأول : مقومات الجيش البري والبحري لإيالة الجزائر.....28

المبحث الثاني : دور البحرية الجزائرية في تحرير تونس وطرابلس.....64

المبحث الثالث : دور البحرية الجزائرية في نجدة المورسكيين 71

المبحث الرابع : دور البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية 75

الفصل الثاني : العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية في عهد الآغوات والدايات.....81

المبحث الأول : ظهور بوادر الانفصال عن الباب العالي في عهد الآغوات.....83

المبحث الثاني : نظام الدايات في العهد العثماني 91

المبحث الثالث : بعض نماذج التعاون العسكري الجزائري العثماني 97

خاتمة 106

ملاحق 111

قائمة المصادر والمراجع 122

فهرس الموضوعات 127